الفصل الثاني
التشكيل البلاغي في شعر العماد

أولا : التشبيه :

إن التشبيه من أبرز طرق التعبير غير المباشر الذي هو من خصائص الأسلوب الشعري . فالشعر في رأي البلاغيين والنقاد والأدباء : " ضرب من النسيج وجنس من التصوير "[1]، وقد صرح الجرجانى بأن التشبية كان معياراً للتفاضل بين الشعراء ، يقول فى ذلك "وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء فى الجودة والحسن ، بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واسيقامته ، وتسلم بالسبق لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب "[2] .

وقد رأى البلاغيون والنقاد القدامى في التشبيه " عملية مقارنة بين طرفين – مشبه ومشبه به – لعلاقة تجمع بينهما – ولما كان كذلك فلابد له حينئذ من أداة تربط بين طرفيه وإن حذفت أحياناً للمبالغة في اقتراب طرفي التشبيه من بعضهما ، ومحاولة إيهام المتلقي أن المشبه هو المشبه به ، إلا أن هذا الحذف يقع في اللفظ دون المعنى ، فهي محذوفة لفظاً مقدرة معنى وهذا يعني أن طرفي التشبيه يبقيان متميزين عن بعضهما ، وأن أحدهما غير الآخر، ومن هنا ظل البلاغيون والنقاد القدامى ، ينظرون إلى التشبيه على أنه نوع من النيابة وقيام أحد طرفيه مقام الآخر. وعلى هذا الأساس فإن الصورة التشبيهية قائمة – عندهم – على اشتراك طرفيها في بعض الصفات وكلما كانت هذه الصفات المشتركة أكثر كانت الصورة أفضل ، وذلك لأنها تدني بطرفيها إلى الاتحاد والتفاعل "[3] .

---

(1) الجاحظ : الحيوان 132/3 ، تح / عبد السلام هارون ، مكتبة الأسرة 2004م .
(2) القاضى الجرجانى : الوساطة بين المتنبى وخصومه ص 33 .
(3) قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تح : كمال مصطفى ، ط السعادة ، القاهرة 1963 ، ص 122 وانظر: الخطيب القزويني:التلخيص فى علوم البلاغة،شرح: عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت، بدون تاريخ.

ويشترك الخيال عند العماد مع صدق المشاعر والعواطف ، ويعتمد ذلك مستعيناً بألوان التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها ، فهو يستطيع أن يشكلها بحسه وفكره وكلماته ويخرجها من جمود الصورة ورتابتها وابتكاره فيها ، وتجديده لها حتى تكون صورته مواكبة لأذواق عصره .

فالشاعر يُسخر خياله في بناء صوره التشبيهية ، وذلك لإدراك ما خفي من العلاقات بين الأشياء ، وعندما يصور ما تقع عليه عينه لم يكن تصويره هذا بمعزل عن عاطفته وشعوره ، بل كان ثمة مزج بين العاطفة والشعور الحسي في ثبات ودقة ، وبالتالي جاءت ألوان صوره التشبيهية مؤلفة بين شعره وشعوره وتنوعت صورة التشبيه في شعره ، مابين تشبيهات حسية ومعنوية .

فشاعرنا يصور نفسه بالخيال الضعيف ، فعندما يزوره كأنه التبسه شيء كما في قوله :

أنا الخيالُ نحولاً فالخيالُ إذا ما زَارَني كيفَ يلقَي مَنْ بهِ الْتبَسَا[1]

وللتشبيه تعريفات كثيرة أثرانا بها البلاغيون والنقاد القدامى ، فمثلاً يعرفه ابن رشيق : " بأنه صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، ومن جهة أخرى أو جهات كثيرة لا من جميع الجهات "[2] .

وعند قدامة بن جعفر : " التشبيه فهو من أشرف كلام العرب ، وفيه يكون الفطنة ، والبراعة عندهم ، وكلما كان المشبه منهم في تشبيهه ألطف كان بالشعر أعرف "[3] .

والتشبيه – كما يقول الباقلاني – " تعرف به البلاغة "[4] ، وهو عند ابن أبي عون : " قسم كبير من أقسام الشعر ، والشعر ثلاثة أقسام : " مثل سائر

---

(1) الديوان ص 228 .
(2) ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ،1972م .
(3) قدامة بن جعفر : نقد النثر ، تقديم : طه حسين وعبد الحميد العبادي ، دار الكتب المصرية ، 1933م .
(4) الباقلاني : إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، 1963م .

واستعارة غريبة ، وتشبيه نادر" بل هو- من وجهة نظره – أجل هذه الأقسام وأصعبها ، وذلك لأنه لا يقع إلا لمن طال تأمله ، ولطف حسه ، وميز بين الأشياء بلطيف فكره "[1].

ويقول عبد القاهر الجرجاني : " أعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلاً "[2].

ويقيني أن التشبيه وسيلة من وسائل الكشف عن تجربة الشاعر وموقفه الإنساني ، فهو يعكس رؤيته للواقع الذي يعيشه ، والأحاسيس المختلفة التي تسيطر على فكره وشعوره .

وخلاصة القول إن "الصورة التشبيهية ، مهما تعددت الصفات المشتركة التي تجمع بين طرفيها،وتصحح صياغتها ، فإن المتلقي يبقى يشعر بتميز الطرفين عن بعضهما وأن أحدهما ليس الآخر ، وأن نجاح الصورة يبقى متوقفاً على مدى قدرتها في تخييل أن المشبه في قوة المشبه به من حيث تحقق تلك الصفات فيه"[3]

(1) ابن أبي عون : التشبيهات ، تصحيح : محمد عبد المعيد خان ، ط كمبردج ،1950م.
(2) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة في علم البيان ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، ط المدني بجدة 1991م .
(3) د. مجيد عبد الحميد ناجي : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1984 م ، ص 195 .

obeikan.com

وإليك الآن ألوان التشبيه عند العماد :

1ـ التشبيه المرسل :

هو التشبيه التام الشامل على جميع الأركان ، والمشبه والمشبه به والأداة ، ووجه الشبه ، فالصورة التشبيهية في هذا اللون واضحة المعالم ثابتة الإطار كما في قوله:

لعمامةٍ ذهبيةٍ كغمامةٍ يبدو بها برقُ الطِّرازِ المغربي[1]

فنجد في هذا البيت المشبه "العمامة" والأداة "الكاف " ، والمشبه به " غمامة " ، حيث شبه العمامة المذهبة بأنها كالغمامة التي تغطي الرأس ، ويوجد عليها ألوان وأشكال من الطراز المغربي ، ووجه الشبه هنا " بريق الطراز " . وقوله :

والمحلُ زالَ كبارقٍ مُتهللٍ لمَّ الشُّعوبَ بوَمْضهِ لماحُه[2]

المشبه (المحل) والأداة (الكاف) والمشبه به (بارق) ، وشبه الجدب والقحط بأنه زال كالبرق السريع الذي لم الشعوب بومضه .

يعد التشبيه "من أهم عناصر تكوين الصورة ، بل يعد أكثرها شيوعاً وتواتراً في كلام البشر عامة"[3].

وقوله :

مَجْرٌ كبحرٍ ، دارِعُو فِرْسَانه حيتانُهُ وزعيمهُمُ تمساحُه[4]

المشبه (مجر) والأداة (الكاف) والمشبه به (البحر) ، حيث شبه المجر أو الجيش العظيم بالبحر ، والفرسان الشجعان بالحيتان ، والزعيم أو القائد بالتمساح .

---

(1) الديوان ص 84 .
(2) الديوان ص 108 .
(3) الحنين والاغتراب عند شعراء مصر من أواخر الدولة الفاطمية إلى سقوط الدولة الأيوبية (525هـ - 648 هـ) ، دكتوراة 2006 م الباحث / محمد فتحي أبو جبة ، آداب طنطا
(4) الديوان ص 109 .

obeikan.com

ويستخدم أداة التشبيه "مثل " كما في قوله :

وبَـرَزتَ مثـلَ الشّمسِ تُشرقُ للـورَى وسَناكَ يحجبُ عنكَ ناظرَ منْ نظَرْ[1]

المشبه (برزت) ، والأداة (مثل) ، والمشبه به (الشمس) ، شبه العماد بروز الخليفة (المقتفي لأمر الله) مثل الشمس التي تشرق وتنور الأرض .

ويجمع الشاعر بين أداة التشبيه "كأن" و"الكاف" في بيت واحد وذلك في قوله :

وكأنمـا تـكُ المظلـةُ هالـة وجه الإمامِ يضيءُ فيها كالقمَرْ[2]

يوجد في هذا البيت تشبيهان : الأول : المظلة تكون كالهالة ، والثاني : وجه الإمام يضيء كالقمر ، فالأول: المشبه (المظلة) والأداة (الكاف) والمشبه به (هالة) والثاني:المشبه (وجه الإمام) والأداة (الكاف) والمشبه به (القمر) ووجه الشبه : (الإضاءة) .

ويقول في غزل الحبيب :

أبكي ويضحكُ كالغمامِ إذا بكى حُزْناً تبسّمتْ الرِّياضُ سروراً[3]

المشبه (أبكي ويضحك) ، والأداة (الكاف) " والمشبه به (الغمام) ووجه الشبه (البكاء والحزن) ، شبه الحبيب عندما يبكي ويضحك كالسحابة التي تذهب في السماء ، وعندما يبكي تبتسم الأزهار والورود سروراً ، حيث أرى هنا صورة تناقض بين صورة البكاء وصورة الضحك.

(1) الديوان ص 152 .
(2) الديوان ص 153 .
(3) الديوان ص 162 .

obeikan.com

وقوله مادحاً :

فضـائلهُ كالشّـمسِ نُـوراً ولم تـزلْ مناقبـهُ في الـدّهرِ أعـدادَ زهـرهِ[1]

المشبه (فضائل)،والأداة (الكاف)،والمشبه به (الشمس)،ووجه الشبه (النور) حيث شبه فضائل ممدوحه بالشمس التي تشع نوراً وأفعاله الكريمة لم تزل في الدهر

وقوله في توران شاه [2]:

كأنـكَ شمـسُ الدَّولـةِ البـدرُ بيننـا ونحـنُ حواليـكَ النُّجـومُ الطّوالـع

التشبيه في الشطر الأول : المشبه (شمس الدولة) ، والأداة (الكاف) والمشبه به (البدر) . والثاني:المشبه (نحن) الضمير، والأداة محذوفة والمشبه به (النجوم) ووجه الشبه محذوف في الحالتين،وهذا التشبيه يسمى تشبيهاً مجملاً، حيث شبه العماد شمس الدولة بالبدر الذي يظهر بيننا ونحن كالنجوم التي تطلع وتظهر حوله.

يقول في تشبيه دمشق[3] :

تـرى جواسِـقَها[4] في الجـوِّ شـاهقة كـــأنهنَّ قُصـــورٌ للسَّـــلاطينِ

دارُ النّعـيمِ ومِـنْ أدنـى محاسِـنهَا ثمـارُ تمـــوُّزَ في أيـــامِ كـــانونِ

نعيمُهَـــا غـــيرُ ممنـــوعٍ لسَـــاكنها كالخُلـدِ والمـنُّ فيهـا غـيرُ ممنـونِ

كأنمـا هـي للأبـرارِ قـد فُتِحَـتْ مـن الفـرَادِيسِ أبـوَابَ البسَـاتينِ

في البيت الأول يشبه جواسق دمشق بأنها مثل قصور السلاطين شاهقة وعالية ، وفي البيت الثاني يشبه دمشق بأنها دار النعيم والجنة ، وفي البيت الثالث يشبه نعيم دمشق بأنه غير ممنوع لساكنها مثل الخلد والمن والنعم غير مقطوعة ،

---

(1) الديوان ص 216 .

(2) الديوان ص 289. هذا البيت مأخوذ من قول النابغة الذبياني :

كأنـــك شـــمس والملـــوك كواكـــب إذا طلعـــت لـــم يبـــد مـــنهن كوكـــب

(3) الديوان ص 432 .

(4) الجوسق : القصر الصغير أو الحصن ، ج جواسق ، الفراديس : أحد أبواب دمشق .

obeikan.com

وفي البيت الرابع يقول أن دمشق هي الجنة جنة الأبرار وأن الفراديس أحد أبواب البساتين الموجودة في الجنة ، وهذا التشبيه أكثر دوراناً في الديوان .

ونوع شاعرنا في استخدام أدوات التشبيه مثل : " الكاف ، وكأن ، ومثل ، ويحاكي ، ويشبه ، ويماثل " .

2ـ التشبيه البليغ :

هو ما حذف منه الأداة ووجه الشبه ، ويرى الجرجاني صاحب الإشارات والتنبيهات " أنه أقوى مراتب التشبيه ، وحذف أداته ووجه الشبه معاً لأن ذكر الأداة يدل على ثبوت مزية للمشبه به على المشبه ، التي باعتبارها استحق أن يشبه به دون العكس ، فحذفها يوهم عدم تلك المزية ، وذكر وجه الشبه يدل على انتقاء وجه آخر له ، فحذفه يوهم عموم التشبيه في جميع صفات المشبه به "[1] .

يقول العماد في مدح نور الدين[2]:

أنتَ سُليمانُ في العفافِ وفي الـ مُلكِ وتحكي بزُهدِكَ اليسَعَا

نرى الشاعر هنا يبالغ في مدح نور الدين ويشبهه بسيدنا سليمان في العفاف وفي الملك ، وباليسع في الزهد .

وقوله مادحاً[3] :

وإنَّ مصراً بملكِ يوسُفها جنّةُ خُلْدٍ يروقُ زُخرفُها

وإنهُ في السَّماحِ حاتمها وإنهُ في الوقارِ أحنفُها

في البيت الأول يشبه مصر بأنها جنة خلد مليئة بالزخرف بفضل صلاح الدين ، وفي البيت الثاني يشبهه في السماحة بحاتم الطائي ، وفي الوقار بالأحنف بن قيس .

---

(1) محمد بن علي الجرجاني ، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، مكتبة الآداب ، 1997م .
(2) الديوان ص 285 .
(3) الديوان ص 308 .

وقوله مادحاً[1]:

في كفِّــهِ للجــودِ خمســةُ أبحــرٍ فياضــةٍ ، تُسْــمى بخمــسِ أنامــلِ

يمدح الخليفة المقتفي ويبالغ في مدحه بالجود والكرم وكأن في كفه خمسة أبحر فياضة وكثيرة .

ويصف عثمان بن صلاح الدين بالأسد وبذي النورين[2] :

يــا أســداً يحمــي عــرينَ العُلــى هنيــتَ جمــعَ الشَّــملِ بالشِّــبْلِ

عثمــانُ ذي النُّــورينِ بــينَ الــورَى مِــنْ ســؤددٍ ســامٍ ومِــنْ فَضْــلِ

وقوله في الشوق إلى مصر[3]:

أشــتاقكمْ شــوقَ الظّمــاءِ إلى الحُبَــا وأحــبكمْ حُــبَّ النُّفــوسِ حياتُهــا

الشاعر في هذا البيت حذف الأداة ووجه الشبه ، وحذفهما قد زاد الصورة قوة وجمالاً ، إذ دل على أن المشبه والمشبه به كأنهما شيء واحد ، فشوقه إلى مصر كشوق الإنسان الظمآن إلى الحبا ، وحبه لها يشبه حب النفوس للحياة ، وكذلك في قوله[4] :

أحــبكُمْ حُــبَّ النُّفــوسِ بقاءُهــا وأشــتاقكمْ شــوقَ الظِّمــاءِ إلى الــوردِ

وميزة حذف وجه الشبه في التشبيه البليغ أنه يتيح فرصة أكبر للمتلقي ، كي يتمم إبداع الشاعر على نحو يحقق استكشاف جوانب من رؤية المبدع لبعض مفردات الواقع المعيش وقضاياه المتباينة ، حيث يسهم في التخييل .

---

(1) الديوان ص 348 .
(2) الديوان ص 353 .
(3) الديوان ص 99 .
(4) الديوان ص 128 ، وانظر أيضاً : ص 63 .

obeikan.com

ومن التشبيهات البليغة في الديوان ، قول العماد[1]:

واحـدُ العصـرِ ثالـثُ الشّمسِ والبـد ـرِ ، وثـــاني الحـــيا بغـــيرِ مُـــزاحمْ

وقوله أيضاً[2] :

نُطـقُ قُـسٍ ، ورأي قَـيسٍ ، وإقـدا مُ عـــليٍّ ، وجـــودُ كعـــبٍ وحـــاتمْ

ويقـول في مـدح آخـر بأنـه هـو الغيـث فـى بـث العطايـا ،وهـو الليـث في هـروب الأعداء[3]:

فهـــوَ الغيـــثُ اذا بـــثَّ اللُّهـــا وهـــو اللّيـــثُ اذا فَـــلَّ اللَّهامَـــا[4]

لم يـــزدْ أعـــداءَه يـــومَ الـــوغَى والقنـــا إلاّ انحِطاطـــاً وانحِطامَـــا

وهذا التشبيه أكثر دوراناً في الديوان ، ولا تكاد تخلو قصيدة بدونه .

3ـ التشبيه التمثيلي :

هـو مـالا يكـون وجـه الشـبه فيـه أمـراً بينـاً بنفسـه بـل يحتـاج في تحصـيله إلى ضرب من التأول والصرف عن الظاهر لأن المشبه لم يشارك المشبه به في صفته الحقيقية ، ويتحقق ذلك فيما إذا كان وجه الشبه ليس حسياً ولا من الأخلاق والغرائز والطباع العقلية الحقيقية ولكنه يكون عقلياً غير حقيقي أي غير مقرر في ذات الموصوف .

---

(1) الديوان ص 367 .
(2) الديوان ص 368 .
(3) الديوان ص374 ، 375 . اللها (بضم اللام) العطايا مفردها اللهوة بالضم .
(4) اللهام : الجيش العظيم .

obeikan.com

يقول العماد[1] :

كـأنَّ قلـوبَ العاشـقينَ بدَيْنهَـا رُهـونُ غـرامٍ مـا تـؤدي قُـروضُها

شبه قلب العاشق برهن غرام ، وجه الشبه : عدم رهن قلوب العاشقين بقروض ، حيث يكون وجه الشبه (عقلي غير حقيقي) أي :غير متقرر في ذات الطرفين فلا يكون بيناً ظاهراً بنفسه بل يحتاج في تحصيله إلى تأول لأن المشبه لم يشارك المشبه به في صفته الحقيقية ، سواء أكان هذا الوجه العقلي مفرداً أم مركباً .

ويقول أيضاً[2]:

عـدُّوكَ مثـلُ الشّمعِ في نـارِ حقـدِهِ لـه عنـقٌ إصـلاحُ فاسـدِهِ القَـطُّ

حيث شبه العدو مثل الشمعة في نار الحقد وتصلح في أي شيء آخر.

وجه الشبه : تتبع صورة العدو في إصلاح شيء فاسد ، وقوله[3] :

كـأنَّ بـينَ النّقـعِ لَمْـعُ حديدهـا نـارٌ تـألقُ مـن خـلالِ دُخَـانِ

وجه الشبه : ظهور حركة الغبار على هيئة نار تخرج من خلال الدخان.

وقوله[4]:

يُريـكَ ابتسـاماً عـنْ شـتيتٍ مُقبَّـلٍ كـأنَّ نظـيمَ الـدُرِّ ألّفَـهُ السِّـمْطُ

وجه الشبه : ظهور حركة الابتسامة (الأسنان) على هيئة اللؤلؤ المنثور في الخيط أو على شكل خيط منظوم مملوء باللؤلؤ.

الابتسامة : (الوجه) الثغر المفلج : (الأسنان)

الدر : (اللؤلؤ) السمط : (الخيط الذي فيه خرز)

---

(1) الديوان ص 270 .
(2) الديوان ص 281 .
(3) الديوان ص 412 .
(4) الديوان ص 277 .

وقوله في وصف المشمس :

كـأنَّ نجـومَ الأرضِ فـوقَ غصـونهِ فيـا حـيرتي مـن نجـةِ المتـألِّقِ

وجنّاتهـا محمـرةٌ وجنَاتهـا فمـنْ يرَهـا مثلـي يحـبَّ ويعشـقِ

بـدتْ بـينَ أوراقِ العُصـونِ كأنهـا كـراتُ نُضـارٍ في لجـينٍ مُطـرَّقِ

تسـاقِطُها أشـجارُها فكأنّهـا دنـانيرُ في أيـدي الصَّيارفِ ترتقـي[1]

نرى في البيت الأول : يصف الشاعر المشمس بأن نجوم الأرض فوق أغصانه وحيرة الإنسان من التألق ، وفي البيت الثاني : يصف المشمس بأنه جنة حمراء كالخدين فأي إنسان يرها يعشقها ويحبها . وفي البيت الثالث : يشبه أوراق الغصون بأنها كرات ذهب . وفي البيت الرابع : يشبه تساقط أشجاره بأنها دنانير كثيرة .

وجه الشبه في البيت الأول : ظهور الشمس على هيئة نجوم تقف على غصونه .

وفي البيت الثاني : احمرار الشمس كالخدين فمن يرها يقع في عشقها.

وفي البيت الثالث : ظهور الأوراق على هيئة كرات من الذهب .

وفي البيت الرابع : سقوط الأشجار على شكل دنانير.

4ـ التشبيه الضمني :

هو التشبيه الذي يفهم من المعنى ويتضمنه سياق الكلام ، والفرق بينه وبين التشبيه الصريح أن التشبيه الصريح يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة ، أما التشبيه الضمني فيلمح فيه الطرفان من المعنى ولاتبنى جملته على إحدى صور التشبيه التي عرفناها ، وغالباً ما يكون المشبه به في التشبيه الضمني برهاناً وتعليلاً للمشبه .

(1) الديوان ص317

obeikan.com

يقول العماد[1]:

نفى من القدس صلباناً كما نُفيت مـن بيـتِ مكـة أزلامٌ وأنصـابُ

الشطر الثاني بمثابة دليل يدعم به الشاعر المعنى الذي يقرره في الشطر الأول وهو تحرير بيت مكة من الأزلام والرجس والأنصاب .

البيت تشبيه ضمني لتطهير القدس من الصليب كما طهر مكة من الأزلام ومن ذلك قول العماد[2] :

أرى الحزنَ لا يجُدي على مَنْ فقدتُه ولـو كـان في حزنـي مزيـدٌ لزدتُـه

تغـيرتْ الأحـوالُ بعـدَكَ كلـها فلستُ أرى الدُّنيا على ما عهدتُه

البيت الثاني هو بمثابة دليل يسوقه الشاعر لتأكيد المعنى الذي يقرره في البيت الأول ، فتغير الأحوال بعد فقدان شخص عزيز ، وعدم رؤية الدنيا كما كانت ، فإن الحزن لا يجدي ولا يفيد على فقدانه ولو كان الحزن يفيد لزاد منه .

إذن- تشبيه ضمني عدم الجدوى من فقدان الصاحب - بتغير أحوال الدنيا .

وقوله[3]:

بـدرٌ بـه كلـفُ العـبادِ فيالـهُ عجبـاً فقـدْ شَـابَ الظّـلامُ النُّـورَا

شبه حال الحبيب ضمنياً بالبدر عجباً ، فصار الظلام نوراً .

وقوله :

ومتـى تطيـقُ الـريحُ طـوداً شـامخًا أو يسـتطيعُ الـبرقُ جونـاً مـاطرا

فاعـذرْ سـقوطَ الـبرقِ عنـدَ مسـيره فـالبرقُ يسقطُ حـينَ يخطفُ سـائرا

وأقـلْ جـوادكَ عثـرةً نـدرتْ لـه إنّ الجـوادَ لمـن يُقيـلُ العـاثرا

(1) الديوان ص 76 .
(2) الديوان ص 97 .
(3) الديوان ص 162 .

وتــوقَّ مــن عــينِ الحســودِ وشَــرها لا كــانَ ناظرهــا بســوءٍ نــاظرا[1]

يشبه الشاعر في هذه التشبيهات الضمنية ممدوحه بالريح العالية القوية الشامخة أو بالبرق الأسود الذي ينزل من السماء ماطراً ، فيحذر سقوطه أثناء السير ، فإنه يخطف أي شخص سائر ، فالجواد يكاد يتعثر من شدة البرق ، واتقى شر عين الحسود فإن نظرته نظرة سوء وحقد .

وقوله[2]:

لــئنْ منــعَ الغيــثُ عــن زورةٍ فغيــثُ فضائلــهِ زائــرُ

ومــا غــابَ مــنْ شــخص آلائــهِ اذا غــابَ عــن نــاظري _ حاضــرُ

يصور لنا كرم ممدوحه في إذا امتنع المطر عن الزيارة ، فإن فضائله أفضل زائر وفي حالة غياب آلائه ، فإنه أمام ناظري وعيوني حاضر. ومن تشبيهاته الضمنية الغزلية :

قوله[3]:

وبــدا البنفســجُ بــينَ وردِ خــدودهم غضــاً فمــازجَ وردهــا الكــافورا

فكســا ربيــعُ الحُســنِ روضَ جمــالهم مــن نــورهِ فــوقَ الحريــرِ حريــرا

يشبه حال الممدوح بظهور البنفسج بين ورد الخدود الغض ، فامتزج الورد بالكافور، واكتسى ربيع الحسن الروض ومن شدة جماله وروعته أصبح الحرير فوقه حرير.

(1) الديوان ص159
(2) الديوان ص 166 ، 167 .
(3) الديوان ص 162

فإن خلو هذا التشبيه من الأداة ، يضفي على الصورة نوعاً من الإبهام والغموض ، ويحتاج من المتلقي إعمال الفكر ، والتقصي في البحث لإدراك الشبه الخفى الذي يستخلص من السياق ، ويعتبر من أصعب التشبيهات عند الشاعر .

وتتمثل قيمة النماذج التي تحدثت عنها في تقرير المعاني في الذهن وتمكينها في النفس بما يتضمنه المشبه به من حجة بالغة ودليل قاطع .

ثانيًا: الاستعارة :

الاستعارة " من أبرز طرق التعبير غير المباشرة القائم على التخييل وهي ضرب من ضروب المجاز . وقد وقعت في لغة العرب قديماً قبل أن يتحدد مفهومها الاصطلاحي ، أو بدون حولها شيء ما " [1].

وقد تناول الاستعارة كل الذين كتبوا في في البلاغة ونقد الشعر بل حتى اللغويون والمفسرون والفلاسفة المسلمون الذين اهتموا بشرح كتب أرسطو المنطقية ، وتعرضوا لفلسفة الجمال والفن ، وطبيعي أن يختلف تحديدهم لها وفهمهم لطبيعتها وتجليتهم إياها باختلاف ثقافة الكاتب وعصره.

وقد لاحظ البلاغيون أن الصورة الاستعارية قد تأتي للتعبير عن المدركات الحسية بمثلها ، أو العقلية بمثلها ، أو الحسية بالعقلية أو العقلية بالحسية .

فمن الممكن القول " في تحديد الاستعارة ، أنه مجاز قائم على التشبيه استعملت فيه الألفاظ في غير ما وضعت له في أصل اللغة ، لعلاقة بينهما ، وهي تعتمد على التفاعل التام بين طرفيها ، بحيث يخيل للمتلقي أن المشبه هو نفس المشبه به وذلك بإسقاط المشبه من الصورة ، وإن الاستعارة التخييلية المكنية كالاستعارة بالتمثيل ، ضربان من ضروب التمثيل لاعتماد العلاقة التي تربط بين طرفي كل منهما على التأول والتخييل وكونها منتزعة من قبل العقل لا الحس "[2] .

---

(1) د / مجيد عبد الحميد ناجي : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 219 .
(2) المرجع السابق ص 220 .

وهي وسيلة من وسائل التعبير البياني والتصوير الفني ودعامة أساسية في بناء لغة الشعر، وعن طريقها يتمكن الشاعر من إقامة العلاقات بين الأشياء.

ويقول د. أحمد الصاوي عن الاستعارة " فن أصيل في التربة العربية الجاهلية والدليل على أن القرآن ببلاغته وفصاحته لم يكن يخاطب قوماً يفهمونه أو يستطيعون تذوقه وهو الذي احتوى من صنوف هذا الفن الكبير"[1].

والاستعارة بالمعنى الاسمي : "هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرنية مانعة من إرادة المعنى الأصلي"[2].

والاستعارة في شعر العماد متنوعة ومتعددة تداعب خياله، فلديه حس مرهف في استعارة الأشياء، والاستعارة في أصلها تشبيه، وتقدم بلاغتها على تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه به هو نفس المشبه وكلما أوغلنا في هذا التناسي كانت الاستعارة أبلغ، وإليك ألوان الاستعارات في شعر الشاعر:

1ـ الاستعارة التصريحية :

هي التي ذكر فيها المستعار بلفظه[3]، وهي " أوضح إطار نتبين منه أن الاستعارة إنما هي مجرد تشبيه متوغل فيه، لأن متعلقات المستعار له ترجعنا إلى نقطة الانطلاق بعد أن يتجاوز بنا المستعار حد الحقيقة "[4].

يقول العماد[5] :

عسى يعودُ شبابي ناضراً ومتى أرجو نضارةَ عودٍ للشَّبابِ عسى

---

(1) د / أحمد عيد السيد الصاوي، فن الاستعارة مع التطبيق على الشعر الجاهلي، الهيئة العامة للكتاب، 1979 م.

(2) د / بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. القاهرة، 1998 م.

(3) اللفظ المستعار هو المشبه به، والمستعار له هو المشبه.

(4) د/ محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، 1989م

(5) الديوان ص 228.

obeikan.com

في البيت يتمنى الشاعر أن يعود شبابه ناضراً وجميلاً له رونقه وبهجته ، حيث استعار النضر للشباب بجامع[1] العودة والرجوع ، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية .

ويقول في بيت آخر[2]:

لم تدعْ بالظُّبي رؤوساً وأصنا ماً من المشركين غير جذاذِ

استعار الشاعر الظبي للأعداء لقتل الرؤوس والأصنام ولم يتبق من المشركين غير الحطام ، وصرح باللفظ المستعار غلى سبيل الاستعارة التصريحية .

كل فن هو اختيار من الحياة والاستعارة على وجه الخصوص" تختار مادتها من عناصر الكون وأشيائه ، فكل هذه العناصر وتلك الأشياء قبل أن تخرج إلينا في صورتها الفنية ، ولاشك أنها تتلكأ في منحنيات نفسه وتتغلغل في أعماقه ، فتتلون بما فيها فيتميز الفنان ويتفرد " [3] .

يقول العماد[4]:

أيا شمسَ الملوكِ ، بقيتْ شمساً تنيرُ على الممالكِ والدِّيارِ

استعار الشاعر الشمس للملوك وكأنها الشمس الوحيدة التي تنير على الممالك والديار ، فبنى الكلام على أنها شمس حقيقية ، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية .

ويقول أيضاً[5]:

أرى نُوباً للدّهرِ تحُصى وما أرى أشدَّ من الهجرانِ في نُوبِ الدَّهرِ

---

(1) الجامع في بحث الاستعارة هو وجه الشبه في بحث التشبيه .
(2) الديوان ص 147 .
(3) فن الاستعارة في شعر بشار بن برد ، ماجستير، علية طه بدر ،إشراف أ . د محمد مصطفى هدارة ، آداب طنطا ، 1988م .
(4) الديوان ص 197 .
(5) الديوان ص 203 .

استعار النوب والمصائب للدهر بأنها تحصى وحذف المشبه وصرح بالمشبه به وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية .

ويقول أيضاً [1]:

يـــــروقُني في المهـــــا مُهَفْهَفُهـــــا ومِـــنْ قُـــدودِ الحســـانِ أهيفُهـــا

ومـــن عيـــونِ الظِّبـــاءِ أفترُهـــا ومِـــنْ حُصـــورِ المـــلاحِ أنحفُهـــا

الشاعر يصف ويتغزل في "المحبوب" حيث استعار المها للنساء ويصفها بأنها هيفاء ، وقدها جميل ، وفي البيت الثاني استعار عيون الظباء للنساء من خلال الفتر والخصر النحيف ، وصرح باللفظ المستعار على سبيل الاسنعارة التصريحية .

ويقول في بيت آخر[2]:

ســقياً لوصـلِ الغانيـاتِ وشـربنا كـأسَ الرُّضـابِ على غنـاءِ خلاخـلِ

استعار الغانيات للنساء اللائي يسقين ويشربن الرضاب على غناء الخلاخل .

2ـ الاستعارة المكنية :

وهي التي لا يصرح فيها بالمشبه به . بل يطوي ويرمز له بشيء من لوازمه ، ويسند هذا اللازم إلى المشبه ولهذا سميت استعارة مكنية أو استعارة بالكناية ، لأن المشبه به يحذف ويكنى عنه بلازم من لوازمه .

الاستعارة " مجاز قائم على التشبيه استعملت فيه الألفاظ في غير ما وضعت له في أصل اللغة لعلاقة بينهما ، وهي تعتمد على التفاعل التام بين طرفيها بحيث يخيل للمتلقي أن المشبه هو نفس المشبه به ،

---

(1) الديوان ص 306 .
(2) الديوان ص 346 .

obeikan.com

وذلك بإسقاط أحد طرفي الصورة "[1].

يقول العماد[2] :

وجـــاءَ عصْـــرُكَ والأيـــامُ مقبلـــةٌ فكـانَ فيـهِ لفـيضِ الكفـرِ إنضـابُ

شبه العصر بإنسان يأتي وحذف المشبه به وعبر بشيء من لوازمه وهي المجيء (الإتيان)، وفي (الأيام مقبلة) استعارة حيث شبه الأيام بأشياء مقبلة وحذف المشبه به وعبر بشيء من لوازمه وهي (الإقبال) .

ويقول أيضاً[3] :

بكـتْ الصّوارمُ والصّواهلُ إذْ حَلـتْ مـــن سَـــلِّها وركوبهـــا غزواتُـــهُ

استعارة مكنية في (بكت الصوارم والصواهل) ، حيث شبه بكاء السيوف والفرسان بالطفل الذي يبكي وحذف المشبه به ورمز إليه شيء من لوازمه وهو (البكاء) .

ويقول أيضاً [4]:

الـــدّينُ في ظُلَـــمٍ لغيبـــةِ نـــوره والدّهـــرُ في غـــمٍ لفقـــدِ أميـــرِهِ

(الدين في ظلم) شبه الدين بإنسان يعيش في ظلم بسبب غياب النور والعدل (والدهر في غم) شبه الدهر بإنسان يعيش في غم وحزن بسبب فقدان أميره أو قائده .

ويقول أيضاً [5]:

إنَّ ســـوَّدَ البيضـــاءَ بـــيضَ مـــنْ ثـــوبِ الليـــالي كـــلَّ مُسْـــودِ

---

(1)عناصر الإبداع الفني في شعر تميم بن المعز ، رسالة دكتوراة ، 1997م ، أيمن عبد الحفيظ عياد ، آداب طنطا ، اشراف أ / د سعيدة رمضان ، أ / د عبد الرحيم زلط .

(2) الديوان ص 75 .

(3) الديوان ص 89 .

(4) الديوان ص 212 .

(5) الديوان ص133 .

استعارة مكنية في (ثوب الليالي) حيث شبه الليالي بإنسان يرتدي ثوب أسود ثم طوى المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الثوب).

وتكمن موهبة الشاعر الاستعارية في أنه أكثر من غير قدرة على الالتصاق بعناصر الكون وأشيائه وكشف أقنعة الموجودات "والنفاذ إلى روح الكون" والرجوع باللغة إلى حبث كانت في بدئها صوراً فالشاعر كما يقال "يفكر بالصور[1]".

يقول العماد[2]:

كـمْ بكـتْ أعـينُ اللّيـالي فعـادت وهـي اليـومَ ضـاحكاتُ المباسـم

(أعين الليالي) استعارة مكنية حيث شبه الليالي بإنسان له أعين تبكي ثم طوى المشبه به ورمزله بشيء من لوازمه وهو (الأعين).

ويقول أيضاً[3]:

هاجـتْ بلابـلَ قلـبي المستهـامِ بهـا بـلابلُ الأيـكِ غنَّتْنـا بتلْـحينِ

شبه بلابل قلبه بشيء يهيج، ثم حذف المشبه به بعد تناسي التشبيه ورمزله بشيء من لوازمه وهو (الأيك).

يقول العماد[4]:

يـا دمـعُ لا تـتركْ مسـاعدتي فقـد اسـتقالَ الصـبرُ مـن وجـدي

استعارة مكنية في (استقال الصبر) حيث صور الصبر بشيء يستقيل ويبعد ثم حذف المشبه به ورمزله بشيء من لوازمه وهو (الاستقالة) وذلك على سبيل الاستعارة المكنية.

---

(1) في النقد الأدبي: د / شوقي ضيف، مكتبة الدراسات الأدبية، 1986م، دار المعارف.
(2) الديوان ص 369.
(3) الديوان ص 433.
(4) الديوان ص 130.

obeikan.com

ويقول أيضاً[1]:

لم أنســـها إذْ نثـــرتْ دموعهـــا في خدِّهـــا مـــا نظمـــتْ عقودهـــا

(نثرت دموعها) استعارة مكنية حيث صور الدموع بشيء ينثر في الخد ثم طوى المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو (النثر).

ويقول في بيت آخر[2]:

وغـــدتْ عقـــودُ مسَّـــرتي مجموعـــةً لا تســـتطيعُ يـــدُ الفـــراقِ شـــتاتها

(يد الفراق) استعارة مكنية حيث شبه الفراق بإنسان له يد تفرق ثم حذف المشبه به وعبر عنه بشيء من لوازمه وهو (اليد).

3ـ الاستعارة الأصلية:

ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس، يدل على واحد غير معين من جنسه سواء كان اسم عين، كالأسد والثعلب والبحر والغيث أو اسم معنى وهو المصادر كالقتل والنوم واليقظة، ويدخل في الاستعارة الأصلية، أسماء الأعلام التي اشتهرت بصفة معينة، لأنها صارت لشهرتها بالصفة كاسم الجنس بالتأويل وذلك نحو: "حاتم" الذي اشتهر بالكرم، فصح لكل رجل كريم، لأن شهرته بالكرم، جعلته كالموضوع لطلق ذات متصفة بالكرم فصار بهذه الشهرة اسم جنس تأويلا. .....

مثال في استعارة اسم الذات: ضمت الأم زهرتها إلى صدرها، تريد هنا طفلتها، ونقول: أسود المعركة، أي الشجعان.

ونقول: بحور العلم، أي العلماء، مثال في استعارة اسم المعنى: سباحة الفكر، أي تنقله في أمور شتى، ونوم العقل، أي: توقف عن التفكير، ومنه قوله عزوجل: " في قلوبهم مرض " أي نفاق ".

---

(1) الديوان ص143
(2) الديوان ص99

obeikan.com

يقول العماد[1]:

مـا أعجزتـكَ الشُّـهبُ في أبراجهـا طلبـاً فكيـفَ خـوارجٌ في أبـرُج

حيـث استعار الشـاعر الشـهب لحركـة الأبـراج ، حيـث يـبين مـدى عجزهـا في الطلب وذلك على سبيل الاستعارة الأصلية .

ويقول أيضاً[2]:

قَـدْ وَرَدَتْ البحـرَ الخضَـمَّ وخلَّفـ ـتُ ملـوكَ الـدُّنيا بـهِ كالتِّمـادِ

استعار الشاعر البحر لممدوحه ، حيث شبه الشاعر ممدوحه بالبحر الخضم الواسع ، وباقي ملوك الدنيا بالماء القليل ، وذلك على سبيل الاستعارة الأصلية .

ويقول في بيت آخر[3] :

سـفائنُ الآمـالِ مِـنْ جُـودهِ قَـدْ اسْـتَوتْ منَّـا علـى الجُـودي

شبه الآمال بإنسان يحمل سفناً من الجود والكرم حتى رست على جبل عال (الجودي) وذلك على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية ، أو جعل السفن للآمال المملوءة بالجود والكرم حتى رست على جبل الجودي .

وقوله العماد[4] :

نُطـقُ قُـسٍ ورأيُّ قـيسٍ وإقـدا مُ علـيٍّ وجـودُ كعـبٍ وحـاتمْ

في هذا البيت يضرب لنا الشاعر أكثر من مثل في النطق والخطابة وهو قس بن ساعدة الإيادي ، أحد حكماء العرب ، ورأي قيس ، هو قيس بن سعد بن عبادة

(1) الديوان ص 102 .
(2) الديوان ص 125 .
(3) الديوان ص 138
(4) الديوان ص 368 .

obeikan.com

الأنصاري ، من دهاة العرب وذوي الرأي ، وإقدام علي بن أبي طالب في الشجاعة والقوة ، وجود كعب بن مامة ، يضرب به المثل في حسن الجوار[1].

4ـ الاستعارة التبعية :

ماكان اللفظ المستعار فيها فعلاً أو اسماً مشتقاً أو حرفاً مثل قولنا : طار فلان إلى المعركة ونام عقل فلان ، فالمراد ، أسرع فلان إلى المعركة وغفل عقل فلان، فاللفظ المستعار هنا فعل ، وتقرير الاستعارة فيه أن يقال : شبهت الدلالة الواضحة بالنطق في إيضاح المعنى[2] .

ثم استعير النطق للدلالة الواضحة . فصار النطق بالاستعارة معناه : الدلالة الواضحة ، ثم اشتق من الطيران : الفعل طار بمعنى دل على سبيل الاستعارة التبعية وكذا القول في الفعل " نام " .

يقول العماد[3]:

وتكَحَّلَتْ ليلاً باشدهِ عينٌ له مِرهَتْ من السُّهدِ

استعار الشاعر الكحل ليلاً للعين التي أصابها مرض أو أرق واشتق الكحل من الفعل (كحل) وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

ويقول أيضاً[4]:

والحربُ عَضَّتْ بأنيابٍ لها عُصُلٍ والصَّفُّ أحكمُ مِنْ أضْرَاسها لصَصَا[5]

حيث استعار الشاعر الحرب للأسد القوي الذي يعض بأنيابه على فريسته وهو أعرج ، وعضت مشتقة من الفعل "عض " وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

---

(1) قال أبو عبيدة :"أجواد العرب ثلاثة:كعب بن مامة:وحاتم طيئ ،وهرم بن سنان "جمهرة الأمثال(1 : 94).
(2) د / بسيوني عبد الفتاح فيود ، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان ، ص 196 .
(3) الديوان ص 130 .
(4) الديوان ص 255 .
(5) أنياب عصل : معوجة واحدها أعصل .

5ـ الاستعارة التمثيلية :

تركيب مستعمل في غير معناه الأصلي لعلاقة المشابهة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، كقولك للرجل يتشدد في الأمر الصغير ، ويتسامح في الأمر الخطير : " أراك تنقق الدينار وتحرص على الدرهم " ، شبهت حاله في تمسكه بصغائر الأمور وتسامحه في جسامها بحال من يبدد الدينار ويحرص على الدرهم بجامع أن كلاً منهما يترك ما ينفع إلى ما هو قليل النفع [1]، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية والقرنية حالية تفهم من سياق الكلام .

والاستعارة التمثيلية كثيرة الاستعمال في كلام العرب نثره وشعره ، وفي القرآن الكريم ، والحديث الشريف ،.....

يقول العماد[2] :

يُقالُ له: ليسَ ذا بعُشّكَ قُمْ فادرُج

يضرب لمن يدعي أمراً ليس من شأنه ، وذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية

ويقول أيضاً[3] :

مَلَكتَ فأسْجَحْ فما للبلادِ سواكَ مجيرٌ ومولى نصيرُ

استعارة تمثيلية فى قوله " ملكت فأسجح " ، أي ظفرت فأحسن ، وقدرت فسهل وأحسن العفو ، ومنه المثل السائر المعروف : " العفو عند المقدرة " .

---

(1) د/ بسيوني عبد الفتاح فيود: علم البيان ، ص 224 .
(2) الديوان ص 104 .
(3) الديوان ص 193 .

obeikan.com

ويقول أيضاً :

لحــى اللّه أبنــاءَ الزَّمــانِ فكلُّهــمْ صَــحيفتُهُ أوْدَى بهــا المــتلمِّسُ [1]

يضرب لمن يحمل كتاباً فيه حتفه ، وذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية .

ويقول في بيت آخر[2]:

تبغي بقـرعِ عصَا التقريـعِ لِي رَشَداً كمــا يُنبّــأ ذو حلــمٍ بقــرعِ عَصَــا

البيت يشير إلى المثل "إن العصا قرعت لذي الحلم" ويضرب لمن إذا نبه انتبه .

ثالثا : المجاز المرسل :

إن أسلوب المجاز" من أهم أساليب التعبير غير المباشر ،وأوسعها بل هو عند البلاغين والتراثين القدامى تشمل تلك الأساليب جميعاً "[3].

وهو الكلمة المستعملة فى غيرما وضعت لعلاقة غير المشابهة بين المعنين مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى .

أشهر علامات المجاز المرسل ثمان هى : السببية ، والمسببية ، والجزئية والكلية ، والحالية ، والمحلية ، واعتبار ما كان ، واعتبار ما سيكون ، وينظر فى علاقة المجاز المرسل إلى اللفظ المستعمل إلا المعنى المراد.

(1) **السببية** :

وهى أن يكون المعنى الموضوع له اللفظ المذكور سبباً فى االمعنى منطلق السبب على المسبب ، ومن ذلك قول العماد[4] :

يــا محيــى الأمــة الهــادى بدعوتــهِ للرُّشْــدِ كــلَّ غَــوى مــنهمُ وغبــى

---

(1) الديوان ص237

(2) الديوان ص 252 .

(3) د. مجيد عبد الحميد ناجى ، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص203 .

(4) الديوان ص81.

هنا مجاز مرسل ، فقد ذكر أن محى الأمة هو الهادى الله عز وجل علاقتة السببية ، حيث إن الله سبباً فى هداية الغاوين ، وقرنية المجاز (محيى الأمة) .

وفى قوله[1]:

يا راعياً للدِّين حينَ تمكنتْ منه الذِّئابُ وأسلمتهُ دعاتُهُ

مجاز مرسل والمراد : الله عز وجل ، فقد ذكر أن الله هو الراعى لهذا الدين علاقتة السببية ، حيث إن الله سبباً فى رعاية هذا الدين من الذئاب .

(2) **المسببة** : وهى أن يذكر المسبب ويراد السبب . ويقول[2] :

ويروقهُ الخمرُ الحرامُ وعندكمْ مما يُراقُ منْ الدِّماءِ مباحُهُ

الخمر مجاز مرسل ، والمراد الدم ، فذكروا المسبب (الخمر) وأرادوا السبب (الدم) أو الدماء ، وعلاقتة المسببية .

(3) **الجزئية**:

وهى أن يذكر الجزء ويراد الكل .يقول شاعرنا[3] :

كتبَ العذارُ على الخدودِ سُطوراً من يتْلُها يَكُ فى الهوى معذورا

الخدود مجاز مرسل والمراد : الكتب ، علاقتة الجزئية .ومن ذلك قوله[4]:

وقفتُ أُتبعِهم قلبى يُسايرهم وأُرسلُ الدَّمعَ فى آثارهِم قصَصَا

الدمع مجاز مرسل والمراد : العين وعلاقتة الجزئية فإن الدمع جزء من العين حيث ذكر الجزء وأراد الكل والقرنية (أرسل) .

---

(1) الديوان ص91.
(2) الديوان ص 110 .
(3) الديوان ص161 .
(4) الديوان ص250.

openkan.com

وقوله[1] :

مـا شَـرْحُ صَـدْرِ الشَّـرعِ إلامـنكمُ ولـذاكَ مـنكُمْ للهـدى إيضاحُـهُ

"صدر" مجاز مرسل والمراد : أول الشرع وعلاقتة الجزئية حيث ذكر الجزء وأراد الكل ، والقرنية (شرح).

(4) اللبث :

وهى أن يعبر عن الجزء بلفظ الكل أى يطلق اسم الكل ويراد الجزء .

يقول العماد[2]:

فـأجرى بهـا مـن راحتيـهِ بجـودهِ بحـاراً ، فسماها الورى أنملاً عشرا

أنمل مجاز مرسل والمراد الأصابع ، علاقتة الكلية حيث ذكر الكل وأراد الجزء ، والقرنية (الورى) .

يقول العماد[3]:

وبعد الفرنجِ الكرْكَ ، فاقصدْ بلادهُمْ بعزمكَ واملأ من دمائهمُ الرَّمْسَا

الدماء مجاز مرسل المراد : الجثث ، علاقته الكلية حيث ذكر الكل وأراد الجزء، والقرنية (املأ) ، فإن ملء القبور يكون بالجثث .

وقوله أيضا[4] :

أقفلتْ بابَ مسَّرتى وفتحتَ منْ دمْعِى وحُزْنى كلَّ بابٍ مُقْفَلِ

" دمعى" مجاز مرسل ، والمراد العيون ، وعلاقته الكلية حيث ذكر الكل وأراد الجزء ، والقرنية (فتح) فإن الدمع يكون من العيون .

---

(1) الديوان ص113
(2) الديوان ص160 .
(3) الديوان ص233.
(4) الديوان ص353 .

obeikan.com

(5) اعتبار ما كان :

وهى أن يعبر عن الشىء باسم ماكان عليه من قبل .

مثل قول شاعرنا[1]:

لما جرى " العاصى " هنالكَ طائعاً بدمائمِ فخرتْ بهِ الأنهارُ

" طائعاً " مجاز مرسل المراد : ملطخاً أومليئاً .علاقتة اعتبار ماكان ، حيث ماجرى وحدث فى نهر العاصى من معارك فهناك أناس قتلى وملطخة بالدماء فأصبحت كالأنهار، وقرنية المجاز (جرى).

(6) اعتبار ما سيكون :

وهى أن يعبر عن الشىء باسم ما يئول إليه فى المستقبل .

كما فى قول العماد[2]:

وسكنتَ عليِّينَ فى فردوسهِ حلْفَ المسرَّةِ ظافراً بأَجورهِ

الفردوس مجاز مرسل والمراد الجنة ، علاقتة اعتبار ما سيكون

أن القائد نورالدين محمود سوف يسكن فى الجنة .

وقرنية المجاز الفعل (سكن).

(7) المحلية :

وهى أن يذكر اسم المحل ويراد الحال به ، كما فى قوله[3] :

ياوحشتا للبيضِ فى أعمادِها لا تنضيها للوغى عزمائُهُ

البيض مجاز مرسل والمراد : السيوف ، وعلاقتة المحلية ، فإن السيوف التى تحل بها تسمية للشىء باسم محله .

---

(1) الديوان ص165 .
(2) الديوان ص216 .
(3) الديوان ص89 .

obeikan.com

ويقول أيضاً[1]:

وبحـــقٍ أُصيبـــتْ الأرضُ لمـــا مكّنـــتْ مـــنْ مقـــامِ أهـــلِ الفسَـــادِ

المجـاز المرسـل هنـا (الأرض) والمـراد : أهـل القـدس ، علاقتـة المحليـة فعـبر بالقدس تسمية للشيء باسم محله

(8) **الحالية :**

وهى أن يذكر اسم الحال ويراد المحل ، كما فى قوله[2]:

كـانوا وقوفـاً أمـس تحـتَ ركـابهِ واليـومَ هـمْ حـولَ السّـريرِ مشائـهُ

(أمس واليوم) مجاز مرسل والمراد الأولى يقصد بها أيام الحرب والثانية (اليوم) يقصد بها يوم مماته أو وفاته .

علاقتها الحالية أى حالة فيها تسمية للشيء باسم مايحل به .

(9) **الآلية :**

وهى أن يعبر عن الشيء باسم الآلة التى يحصل بها ، كما فى قوله[3]:

للسانـــهِ حجـــجٌ يـــردُّ بهـــا جـــزماً قضـــايا الألســـن اللُّـــدَ

" اللسان" مجاز مرسل والمراد : اللغة أوالأدلة والبراهين ، وعلاقتة الآلية فذكر اللسان وأراد اللغة لأنه آلة للتعبير عنها .

رابعا : الكناية :

الكناية فى اللغة العربية أن تتكلم بالشيء وتريد غيره ، يقال : كفيت بكذا عن كذا إذا اتركت التصريح به ، فبابه : كنى يكنى كرمى يرمى ، أما المصدر فهو:"كناية " والكناية فى اصطلاح علماء البيان : لفظ أطلق وأريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة المعنى الأصلى .

---

(1) الديوان ص127.
(2) الديوان ص90.
(3) الديوان ص133.

obeikan.com

فالمتكلم يترك اللفظ الموضوع للمعنى الذى يريد التحدث عنه ويلجأ إلى لفظ آخر تابع المعنى الذى يريده فيعبر به عنه [1] .

يقول عبد القاهر الجرجانى :

" الكناية " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعنى ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة ، ولكن يجىء إلى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود ، فيومىء به إليه ، ويجعله دليلاً عليه " [2] وليس هناك ما يمنع من إرادة المعنى الأصلى للفظ مع المعنى الكنائى المراد .مثال ذلك قولهم : " طويل النجاد "[3] يريدون : طويل القامة ، " وكثير رماد القدر " يريدون : كثير القرى ، ففى هذه الامثلة أطلق لفظ الملزوم ، أريد به لازمه ، فطول النجاد يستلزم طول القامة ويدل عليها ، وكثرة الرماد ، تستلزم كثرة الطهى وكثرة الطهى تستلزم كثرة القرى وتدل على الكرم .

يقول الخطيب القزوينى :

الكناية : لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ [4] فالفرق بينهما وبين المجاز ينافى ذلك ، فلا يصح فى قولك " فى الحمام أسد" أن تريد معنى الأسد من غير تأويل ، لأن المجاز ملزوم قرنية معاندة لإرادة الحقيقة ، وملزوم معاند الشىء معاند لذلك الشىء .

وفرق السكاكى وغيره بينهما بوجه آخر أيضا ، وهو أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم،ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم .

---

(1) د. بسيونى عبد الفتاح فيود ، علم البيان ، ص243 ، انظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د. مجيد عبد الحميد ص227.

(2) عبد القاهر الجرجانى ، دلائل الإعجاز ، ص105.

(3) النجاد : حمالة السيف .

(4) الخطيب القزوينى ، الايضاح فى علوم البلاغة ، شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجى ، منشورات دار الكتاب اللبنانى ، 1953م ، ص456.

أقسام الكناية :

1- كناية عن موصوف :

وهى أن يذكر فى الكلام صفة أو عدة صفات لها اختصاص ظاهر بموصوف معين ، ويقصد بذكرها الدلالة على هذا الموصوف كما فى قوله عز وجل " أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين " [1]، حيث كنى عن المرأة بصفتين هما التنشئة فى الحلية وعدم الإبانة فى الخصام .

يقول العماد فى مدح القاضى الفاضل [2]:

الأسمـــرُ الخطُّـــى تابعُـــهُ فـــى حكمـــهِ والأبـــيضُ الهنـــدى

كنى بالأبيض الهندى عن السيف .

ويقول أيضاً [3]:

مهـبطُ الـوحى بينـه ، منـزلُ الذكْـ ـر ، بشـــفعٍ مـــن المثـــانى ووِتْـــرِ

كنى بمنزل الذكر عن القرآن الكريم .

وفى رثاء صاحبه المعتمد إبراهيم [5]:

سكنَ التُّرابَ ، وغاضَ ماءُ حياتـه مُـذْ أطفـاتْ ريـحُ المنيـةِ نـارهُ

كناية عن الموت .

2- كنايه عن صفة :

وهى أن يذكر فى الكلام صفة أوعدة صفات بينها وبين صفة أخرى تلازم وارتباط ، بحيث ينتقل الذهن بإدراك الصفة أو الصفات المذكورة إلى الصفة المكنى عنها (المرادة).

---

(1) سورة الشورى ، الأية رقم 11.
(2) الديوان ص134.
(3) الديوان ص201.
(5) الديوان ص212.

obeikan.com

مثل : " فلان طاهر الذيل ، نقى الثوب" كناية عن العفاف والطهر ، صفتان يلازمهما عادة صفة العفاف والطهر ، " فلان شب عن الطوق " .

كناية عن اجتياز مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب .

" فلان طويل النجاد " كناية عن طول القامة ، " احمر وجيله " كناية عن الخجل . ومن شواهد الكناية عن صفة فى ديوان العماد[1]:

ونشـــرنا أعلامنـــا السُّـــودَ مَهـــراً للعـــدى الـــزرقِ ، بالمنايـــا الحمـــرِ

كناية عن سفك الدم والقتل .

قول العماد فى الكناية عن الكرم والتواضع [2]:(أى كرم وتواضع صلاح الدين).

قـلْ للمليـكِ صـلاحُ الـدّينِ أكـرمَ مـنْ يمشى على الأرضِ أو مـنْ يركـبُ الفرَسَا

ومن الكنايات عن الصفة فى قوله [3]:

رأيـتُ فيـه عظـيمَ الكفـرِ محتقـراً مُعفـراً خـدُّه والأنـفُ قـد تعَسَـا

كناية عن الضيق والتضجر.

وقوله [4]:

بكيـتُ علـى مسـتودعاتِ قلـوبكمْ كما قدْ بكتْ قدماً على صخْرِها الخَنْسا

كناية عن الحزن والتحسر.

---

(1) الديوان ص201
(2) الديوان ص228
(3) الديوان ص229
(4) الديوان ص231

obeikan.com

وقوله[1]:

لكَ الصدرُ والباعُ الرَّحيبانِ فى العُلى وذاكَ المحيا الطلقُ والأنملُ السُّبْطُ

كناية عن السخاء .

وقوله فى الكناية عن صفة كثير النعم :

إمامُ البَرايا خيرُها مستضيئها غزيرُ الأيادى جمُّها مستفيضُها[2]

وقول العماد فى مدح المستنجد باللّٰه[3]:

ضافى رداءُ الفخرِ، صافٍ روحه نامى ضياءِ البشرِ، زاكٍ رُوعُهُ

فى هذا البيت أربع كنايات:الأولى:الكناية عن الفخر والترف والسيادة **والثانية**:كناية عن نقاء وصفاء روحه، **والثالثة**:كناية عن انتشار نوره، **والرابعة** : كناية عن العقل والقلب ، أى إنه يستعمل عقله وقلبه فى إدارة الأمور.

وقوله[4]:

حمرُ النِّصالِ جَلوا بيضهمُ ظُلماتِ ظُلْمِ الأزمُنِ الدُّهم

كنى " بالأزمن الدهم " كناية عن الشدة والقحط .

قد يلجأ الشعراء إلى الكناية " إذا أعوزتهم الحيلة إلى التعبير عن المعنى لايجوز الإفصاح عنه ؛ وهناك الكثير من المعانى التى يفر الأدباء من التصريح بها ، لما يكون فيها مما تأباه الطباع وتمجه الأذواق ، وهو ما يضطرهم إلى الإشارة إلى المعنى

(1) الديوان ص280.
(2) الديوان ص272.
(3) الديوان ص296.
(4) الديوان ص398.

المراد نقله من خلف ستار، ونقل المتلقى إليه نقلاً رقيقا مهذباً"[1].

3- كناية عن نسبة:

وهى أن يريد المتكلم إثبات صفة لموصوف معين أو نفيها عنه، فيترك إثبات هذه الصفة لموصفها، وثيبتها لشىء آخر شديد الصلة وثيق الارتباط به، ومن ذلك قول العماد،[2]:

حـــارَ العُلـــى ببأســـهِ وجـــوده وهـــو أحـــقُّ الخلـــقِ باحتيازهـــا

بجـــدِّهِ أفنـــى كنـــوزاً فـــنى الـــ ملـوكُ فـى الجـدِّ علـى اكتنازهـا

فى البيت الاول نسب العلى والمجد إلى ممدوحه، ذلك من خلال بأسه وجوده، فهو أحق الخلق فى اجتياز هذه الصفات.

وفى البيت الثانى كنى عن نسبة الجد إلى ممدوحه، حيث أفنى كنوزاً عديدة مثل الملوك.

ويقول فى تهنئة صلاح الدين بفتح القدس 583هـ:

فلا يستحقُ القدسَ غيركَ فى الوَرى فأنتَ الذى منْ دونهم فتحَ القُدْسا[3]

وطهرتـــهُ مـــن رجْسِـــهمْ بدمائهـــم فأذهبتَ بالرِّجسِ الذى ذهبَ الرِّجْسا

فى هذين البيتين نسب فتح القدس وطهارته من رجس الإفرنج إلى صلاح الدين، حيث يستحق هذا الفتح العظيم.

---

(1) د.أيمن عياد: عناصر الإبداع الفنى فى شعر تميم بن المعز، رساله دكتوراه، 1997م، ص256.
(2) الديوان ص 225.
(3) الديوان ص231.

obeikan.com

يقول فى نور الدين محمود [1]:

أنتَ سليمانُ فى العفافِ وفى الـ مُلكِ ، وتحكى بزُهدِكَ اليسَعَا

كنى فى الشطرالأول عن العفاف (العفة) ، والشطر الثانى كناية عن الزهد حيث نسب إلى ممدوحه بعفة سيدنا سليمان ، وزهد اليسع .

وقوله :

حُزتَ البقا ، والحياءَ والكرمَ الـ محضَ، وحسنَ اليقينِ ، والورعَا

نسب هذه الصفات (الحياء ، والكرم ، وحسن اليقين ، والورع)إلى ممدوحه.

وقوله [2]:

كلبُ الفرنجِ عوى من خوفِ صولته وقيصرُ الرُّومِ من إقدامهِ معَصَا

نسب عواء الكلب إلى الفرنج ، وإلتواء القدم إلى قيصر الروم من شدة الخوف

وقوله أيضاً [3]:

لكَ النُّورُ موْصُولاً بنورِ محمدٍ أضاءتْ بهِ الأنسابُ عنْ شرفٍ محض

نسب نور الخليفة (الممدوح) بنورسيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام) حيث هذا النور أضاء كل شىء ، وشبه نورالممدوح بنور سيدنا محمد .

وفى الكناية والتعريض يقول أبو هلال العسكرى[4]:

" وهو أن يكنى عن الشىء ويعرض به ولا يصرح ، على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشىء".

---

(1) الديوان ص285.
(2) الديوان ص254.
(3) الديوان ص265. (4) أبو هلال العسكرى : الصناعتين ، تح/ على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت 1986م .

obeikan.com

خامسا : البديع :

عرف الخطيب القزوينى علم البديع بأنه "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة "[1].

وأشار السكاكى إلى علم البديع قسمان : بديع معنوى يستهدف خدمة المعنى ويرتبط به . والموضوعات التى تتدرج تحته هى : المطابقة والمقابلة والمشاكلة ومراعاة النظر واللف والنشر والمزاوجة .....وغيرها والبديع اللفظى الذى يرجع الى اللفظ ويرتبط به والموضوعات التى تتدرج تحت هى : التجنيس (الجناس) بأنواعه وألوانه المختلفة والسجع والترصيع .....وسواها[2].

ويشير القزوينى إلى أن الوجوه ضربان : ضرب يرجع إلى المعنى وضرب يرجع إلى اللفظ.

وبرع العماد فى استخدام فنون البديع فمنها الآتى :

(1) **الطباق** :

يقال له المطابقة ، والتطبيق والتضاد ، ومعناه فى اللغة : الموافقة ، يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد .

عرفها القزوينى فى كتابه " الإيضاح " تعريفاً اصطلاحياً موجزاً حيث قال : "المطابقة وتسمى الطباق ، والتضاد ، وهى الجمع بين التضادين أى معنين متقابلين فى الجملة" [3] .

يعتبر الطباق سيد الأجناس البديعية على الإطلاق وبخاصة "إذا كان طباقاً فكرياً يأتلف فى معناه ما يتضاد فى نحواه ، وهو عنصر أساسى فى تشكيل الصورة، وتجلية غموضها ، وإخفاء الجمال عليها "[4].

---

(1) الخطيب القزوينى : الإيضاح فى علوم البلاغة ، د/ محمد عبد المنعم خفاجى ، منشورات دار الكتاب اللبنانى 1971م ، ص477.
(2) السكاكى :مفتاح العلوم ، ط الحلبى ، 1356هـ .
(3) انظر : الإيضاح ص477.
(4) العمدة ، لابن رشيق ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1972م.

ويقول : د/ أحمد مطلوب [1]:

الطباق : هو(التضاد والتطبيق والتكافؤ والمطابقة والمقاسمة)وهو متعدد الأنواع منه طباق الإيجاب ، طباق الترديد الطباق الحقيقى ، الطباق الخفى طباق السلب ، الطباق المجازى ، المعنوى .

لقد أخذ التأنق البديعى مجالاً رحباً فى شعر العماد ، وبخاصة الطباق فلا نكاد نجد له قصيدة خالية منه ، مثل قوله[2]:

بخدَّيهِ من حُسنهِ والشَّبابِ تجمّعَ ضدان : نارٌ وماءْ

الطباق هنا (طباق إيجابى) حيث طابق الشاعر بين النار والماء .

وقوله [3]:

إشراقُ غرَّةِ وجههِ فى صدغهِ يُبدى لكَ الإصباحَ فى إمسائهِ

طباق الشاعر بين (الصبح والمساء).

- ومن الطباق الإيجابى أيضاً ، قوله [4]:

أحيا الهُدى ، وأماتَ الشِّركَ صارمُه لقد تجلّى الهُدى والشِّركُ منجابُ

طابق الشاعر بين (أحيا وأمات) ، وطابق أيضًا بين (الهدى والشرك).

- ومن الطباق الحقيقى : الذى اجتمع فى طرفاه حرفان واسمان :

قوله [5]:

أرضيتَ تحتَ الأرضِ يامنْ لم يزلْ فوقَ السَّماءِ عَليَّةً درجاتُهُ؟

طباق بين الظرفين (تحت - فوق) وبين الاسمين (الأرض – السماء).

---

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د/ أحمد مطلوب ، مطبوعات المجمع العلمى العراقى ، 1987م.
(2) الديوان ص61
(3) الديوان ص67 .
(4) الديوان ص75 .
(5) الديوان ص 91 .

- ومن الطباق الذى طرفاه اسمان :

قوله[1] :

فـــرحَ العـــدوُّ بجمعـــهِ ، ولقيئـــهُ فتحولـــتْ أحزانُـــهُ أفراحُـــهُ

طباق بين (أحزان – أفراح) .

وقوله[2]:

أنـتم بمصـرَ ذوو غنـىً مـن طيبهـا أدُّوا بـــذكركُمْ الفقـــيرَ زكاتهـــا

طابق بين (غنى – الفقير) .

- ومن الطباق الذى طرفاه فعلان ، قوله[3] :

وكيـفَ يُصـبحُ أو يُمسـى محبكـمُ وشـــوقكمْ يتـــولاهُ صـــباحَ مســـا

طابق بين فعلين هما (يصبح – ويمسى) .

وبين اسمين (صباح – مساء) .

وقوله[4]:

يميـــتُ أعـــداءَه بأســـاً ونائلـــهُ يحيـى رجـاءَ الـذى مـن نجمـهِ أيَسـا

طابق بين فعلين هما (يميت – يحيى) .

وقوله[5]:

لفتـــكِ محبيـــهِ تيقّـــظ طرفُـــهُ وتحسـبهُ مـن سـقمِ عينيـهِ ينعـسُ

طابق بين فعلين هما (تيقظ – ينعس).

---

(1) الديوان ص109 .
(2) الديوان ص99 .
(3) الديوان ص227
(4) الديوان ص228
(5) الديوان ص237

obeikan.com

- ومن الطباق الإيجابى : (اتفاق الطرفين) :

وقوله[1]:

أُســـرُّ وأُعلـــنُ بـــرحِ الجـــوَى فقلبـــى يُســـرُّ ودمعـــى يَشـــى

وقوله[2]:

ولـــيس ســـوى ذكـــركُمْ مُؤنســـى ولكـــــنَّ بعدكُـــــمُ موحِشـــــى

- والطباق السلبى : (عدم اتفاق الطرفين) .

فهو كما عرفه القزوينى " الجمع بين فعلى مصدر واحد مثبت ومنفى أو أمر ونهى " [3] ، وذلك فى قول العماد [4]:

عـادَ حظـى مـن التُّحـوسِ بريئـاً وغـدَا السّـعدُ منـه غـير بـرئ

طابق بين (بريئا وغير برئ).

وقوله[5] :

بغـير الرِّضـا منـى يبعـدُ مزاركُـمْ رضيتُ بإهداءِ السّلامِ معَ الركبِ

فقد طابق بين (غير الرضا – رضيت).

وقوله [6]:

مـا كنـتُ أعلـمُ أنَّ طـوراً شامخـاً يهـوى ولا تهـوى بنـا مهوائُـهُ

طابق بين (يهوى – لا يهوى). وقوله [5]:

صَـبٌّ لتـذكارِ أهـلِ الجـزْعِ ذو جَـزعٍ أطاعـهُ دمعُـهُ والصَّـبرُ لم يُطـعِ

---

(1) الديوان ص246

(2) الديوان ص247،انظر الطباق الإيجابى فى الديوان ص 65 ،69 ،81 ،83 ، 90,84,95 ، 78 ، 125 ، 129 ،130 ،131,135 ،231 ،237 ،238، 235 ،337 ،340 342 ،343، 344 ،347، 350 ، 352,353، 355 .

(3) الإيضاح ص 480

(4) الديوان ص 65

(5) الديوان ص 85

(6) الديوان ص 88

(5) الديوان ص292

طابق بين (أطاع – لم يطع).

- ويتعانق الطباق الإيجابى مع الطباق السلبى ، فى قوله:

وعَـدُونـــــــا وأخلفُـــــــوا ووفَيْـــــــنا ولم يَفُـــــــوا [1]

فالطباق الإيجابى بين (وعد – أخلف)، والطباق السلبى بين (وفى – لم يف)[2] .

لقد استخدم العماد الطباق بشتى أنواعه فى الديوان ببراعة فائقة فهو الأكثر دوراناً وشيوعاً فى الديوان ، فقد تعددت مستوياته بين الإفراط فى الصنعة والأعتدال ، ولكنه فى كل الأحوال لم يفقد رونقه وعذوبته ، ويثرى الصورة ويعمقها ويؤثر فى ذهن المتلقى .

- طباق التدبيج :

التدبيج فى اللغة : التزين ، يقال : دبج الأرض أى : زينتها ، وفى البلاغة : يختص بالألوان التى تذكر بقصد الكناية أو التورية ، فقد عرفوه بأنه ذكر لونين أو الوان بقصد الكناية أو التورية فى معنى من المعانى كالمديح والفخر والغزل والوصف ونحو ذلك .

وهو أن يؤتى فى المدح أو غيره بألوان بقصد الكناية أو التورية لما بين اللونين من التقابل "[3].

ومنه قول العماد[4]:

ونشـــرنا أعلامنـــا الســـودَ مَهْـــرَاً للعـدى الـزرقِ ، بالمنايـا الحُمـرِ[5]

---

(1) الديوان ص297.

(2) انظر: الطباق السلبى فى الديوان:ص91 ،78 ،79 ،232 ،292 ،293 ،303 337، 345 ،350 ،351 ، 352 ،357 ،364 ،380 ،393 ،451 ،453.

(3) انظر: المصباح فى المعانى والبيان والبديع : بدر الدين بن مالك ص 195، تح د / حسنى عبد الجليل يوسف ، ط مكتبة الآداب بالجماميز ، د . ت ، والبلاغة الإصطلاحية د. عبده قلقيلة ص293، دار الفكر العربى ، 1991م ، الإيضاح ص482.

(4) الديوان ص 200

(5) كان السواد شعاراً لبنى العباس ، فكانت راياتهم كذلك سوداً .

كناية عن الاستعداد للقتال ، (والعدو الأزرق) كناية عن العداوة الشديدة ، و (المنايا الحمر) كناية عن سفك الدم والقتال .

حيث جمع بين السواد والزرقة والحمرة على سبيل الطباق .

وقال أيضاً [1] :

محمرٌ نصلِ النَّصرِ فى يومِ الوَغى الـ مغـبرِّ ، مبـيضُّ العطـاءِ نصوعُـهُ

(حمر النصال) كناية عن شجاعتهم وقوتهم فى الحرب، وكنى بـ (مبيض العطاء) كناية عن النصر والعطاء الزاخر،والطباق فى البيت بين الحمرة والبياض .

وقوله[2] :

حمـرٌ حسـانُ الوجـوهِ قـدْ لبسـتْ مـن حُضـرٍ أوراقهـا لهـا حُلّـلا

كنى بـ (حمر حسان الوجوه) عن جمال المشمش بعد اكتمال نضجه حيث تزينت أوراقه بالحلى ، والطباق بين الحمرة والخضرة .

وقوله[3] :

حمـرُ النِّصـالِ جَلـوا ببيضهُـمُ ظُلمـاتِ ظُلـمِ الأزمُـنِ الدُّهـم

كنى بحمر النصال عن شجاعتهم ، والأزرق الدهم كناية عن الشدة والقحط والطباق فى البيت بين الحمرة والبيض والسود[4] .

---

(1) الديوان ص 296

(2) الديوان ص330.

(3) الديوان ص398.

(4) ورد التدبيج فى الديوان ص 138 ، 133 ، 204 ، 424 ، 80 ، 111 ، 160.

obeikan.com

(2) **المقابلة** :

عرف البلاغيون " المقابلة " أكثر من تعريف وفقاً لإتجاه كل منهم وتصوره ولكن القزوينى كان فى تعريفه للمقابلة أكثر دقة ووضوحاً ، وهو: " أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معنان متوافقان ، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب والمراد بالتوافق خلال التقابل" [1].

وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به .

ألوان المقابلة :

تنوعت المقابلة فى شعر العماد بين مقابلة بين اثنين واثنين ، أو بين ثلاثة وثلاثة أو بين أربعة وأربعة .

1. **مقابلة اثنين باثنين** : قول العماد :

ونفعتُـــهُ لمـــا تناهـــى ضـــرُّهُ فأعضـته السّـراءَ مـن ضرائـهِ [2]

قابل بين النفع والضر وبين السراء والضراء.

وقال أيضاً :

لاعـــدمتُمْ راحـــةً مـــنْ قُربهـــا فأنـا مـن بُعدِهـا فـى تعَـبِ [3]

قابل بين الراحة والتعب وبين القرب والبعد.

وقال أيضاً :

إنَّ الـــورَى بحـــبهِ وبُغضِـــهِ يعـرفُ مـن شَـقيُها سَعِيدُهـا [4]

قابل بين الحب و البغض وبين الشقى والسعيد .

---

(1) انظـر: الإيضـاح ، القزوينـى ص 485، ج 2 ، والصـناعتين ص 337 ، والمصـباح ص192 ، 193، والبلاغة الإصطلاحية ص 295.

(2) الديوان ص69

(3) الديوان ص78

(4) الديوان ص144

obeikan.com

2. **مقابلة ثلاثة بثلاثة :**

قول العماد :

قد عاشَ فى العزَّةِ القعْسَاءِ حامدُهُ ومـاتَ جاحِـدهُ مـنْ ذلّـةٍ قعصـا [1]

قابل العماد بين عاش ومات وبين العزة والذلة وبين حامد وجاحد.

وقوله :

وزالَ الخصـــــــبُ والخـــــــيرُ وزادَ الشّـــــــرُّ والمحْـــــــلُ [2]

قابل الشاعر بين زال وزاد وبين الخصب بالمحل وبين الخير بالشر.

وقوله :

ومـــــاتَ البـــــأسُ والجـــــوُ دُ ، وعـــاشَ اليـــأسُ والبُخْـــلُ[3]

قابل شاعرنا بين مات بعاش وبين البأس باليأس وبين الجود بالبخل .

3. **مقابلة بين أربعة بأربعة :**

قول العماد :

نـــوافرٌ ، مســـودَ الشَّـــبابِ أليفهـــا حبائـبٌ ، مبيضُّ المشيبِ بغيضُها[4]

قابل بين نوافل وحبائب وبين مسود مبيض وبين الشباب والمشيب وبين أليفها وبغيضها .

وقوله :

يَمُـرُّ ويحلـو حـالةَ السُّـخطِ والرِّضـا فنعمتُـه دأبٌ ، ونقمتُـه فَـرْطُ [5]

قابل بين المر بالحلو وبين السخط بالرضا وبين النعمة بالنقمة وبين الدأب بالفرط .

---

(1) الديوان ص253
(2) الديوان ص336
(3) الديوان ص337
(4) الديوان ص270
(5) الديوان ص356

obeikan.com

وقوله :

وصَـالكمْ الـدُّنيا وهَجْـركمْ الـرَّدى وقُـربكمُ عـزِّى وبُعـدكمٌ ذُلِّـى[1]

قابل بين الوصال بالهجر وبين الدنيا بالردى وبين القرب بالبعد وبين العز بالذل .

يرى الباحث أن استخدام العماد أسلوب المقابلة بما يقارب أسلوب الطباق من حيث الكم ، أسلوباً واضحاً وظاهراً فى شعره ، ويبدو أن علة استخدام العماد للمقابلة لا تكاد تخرج عن كونها وسيلة لإبراز المعنى من خلال عرض الأضداد والأشباه.

وإن سر بلاغة كل من المطابقة والمقابلة إنما هى " تداعى المعانى فالضد أو المقابل يجلب الى الذهن ضده أو مقابلة ..... فإذا كتب الأديب أو نطق أحد المتساندين وقع مقابلة فى ذهن متلقى الأدب ، قبل أن يقرأه أو يسمعه وبهذا يتحول متلقى الأدب الى مرسل له"[2].

(3) **براعة الاستهلال** :

حسن الابتداء أو براعة المطلع ، هو أن يأتى أول الكلام مناسباً للمقام بحيث يرضى نفس وحس القارئ والسامع فيستحوذ على قلبه وعقله .

وفى هذا الشأن يقول القاضى الجرجانى " والشاعر الحاذق يجتهد فى تحسين الاستهلال والتخلص ، وبعدهما الخاتمة ، فإنها المواقف التى تستعطف أسماع الحضور ، وتستميلهم إلى الاصغاء "[3] .

ومراعاة لنفسية المتلقى كان الحرص على أن يتجنب الأديب البدء بما يكدر النفس وينفر الذوق أو يدعو للتشاؤم والتطير ولاسيما فى مجالات التهانى وقصائد المديح .

---

(1) البلاغة الإصطلاحية : د/ عبده عبد العزيز قلقيلة ، ط 2، دار الفكر العربى ، 1991م ص 319

(2) الوساطة بين المتنبى وخصومه : للقاضى الجرجانى ص 48

يقول ابن رشيق :

" إن حسن الافتتاح داعية الانشراح ، وعطية النجاح "[1].

ويقول القزوينى :

" من المواضع التى ينبغى للبليغ التأنق فيها حتى يكون أعذب لفظاً ، وأحسن سبكاً ، وأصح معنىً ، هو الإبتداء ، لأنه أول ما يقرع السمع ، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام ، فوعى جميعه ، وإن كان بخلاف ذلك اعرض عنه ورفضه وإن كان فى غاية الحسن "[2] تكملة لكلام ابن رشيق فبراعة الاستهلال تزداد حسناً إذا دلت على المقصود بإشارة لطيفة ؛ حيث يبتدئ الشاعر أو الناثر كلامه بما يدل على مقصوده منه تلميحاً لا تصريحاً .

ومنه قول العماد فى وفاة بهاء الدين عمر أخو مجد الدين بن الداية :

أنتم لمحمودٍ كآلِ محمدٍ متصادفى الأفعالِ والأسماءِ[3]

وقوله إلى القاضى أبى اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد :

إنَّ ودى هو الدواءُ وشربى من ولاءِ يجرى بماءِ الصفاءِ

بركات الاشفاقِ منكَ أعاد تنى بعد الإشفاءِ حلفَ الشفاءِ[4]

(1) العمدة لابن رشيق ، ج 1ص 212
(2) الإيضاح للقزوينى ، ج 2 ص 591 ، جواهر البلاغة ص 419، الصناعتين ص431
(3) الديوان ص 61
(4) الديوان ص63 ، 64

obeikan.com

فمن الابتداءات الحسنة عند العماد قوله فى مدح الخليفة المستضىء باللّٰه :

قــدْ أضــاءَ الزّمــانُ بالمســتضىء وارث البُــردِ ، وابــن عــم النَّبــىء[1]

وقوله فى الشوق إلى مصر بعد مفارقتها :

ســاكنى مصــر هناكــم طيبــها إن عيشــى بعدكــم لم يطــب[2]

وقوله فى مدح أسد الدين شريكوه :

بالجدِّ أدركتَ ما أدركتَ لا اللّعبِ كم راحةٍ جُنيتْ من دوحةِ التّعبِ[3]

وقوله فى مدح نجم الدين أيوب :

يومُ النَّوى ليسَ منْ عُمرى بمحْسُوبِ ولا الفراقُ إلى عيْشى بمنْسُوبِ [4]

وقوله فى مدح نور الدين محمود :

بُشرى الممالكِ فتحُ قلعةِ منبجٍ فلْيَهْنِ هذا النّصرَ كلُّ مُتَوَّجِ [5]

وقوله فى مدح صلاح الدين :

يومٌ أهبَّ صَبا الهباتِ صباحُهُ وروى حديثَ النّصرِ عنكَ رواحهُ[6]

وقوله أيضاً فى مدح القاضى الفاضل :

بحيــاتكُمْ مــا عنــدكُمْ بعْــدى فَسِوَى الأسَى ما بَعدكُمْ عندى[7]

فالاستهلال المدحى بالديوان أخذ نصيباً كبيراً ، حيث مدح العماد الخلفاء العباسيين ، وأبرز ممدوحيه هو الخليفة المستضئ باللّٰه ، فقد خصه بقصائد كثيرة ، وكذلك البطل صلاح الدين يوسف بن أيوب الذى قاد الجيوش وحارب

(1) الديوان ص64 ، النبىء : الهمزة فى النبىء لغة رديئة أنكرها الرسول فى اسمه
(2) الديوان ص 78
(3) الديوان ص79
(4) الديوان ص 83
(5) الديوان ص102
(6) الديوان ص107
(7) الديوان ص129

obeikan.com

الفرنج ، وكسر شوكتهم ، وحطم قلاعهم ، وضرب حصونهم ، وطردهم من القدس الشريف ، وخصه بقصائد كثيرة ، وبلغ العماد الذروة فى قصيدته السينية التى دبجها إثر فتح صلاح الدين أبواب القدس 583 هـ:

أطيبُ بأنفاسٍ تطيبُ لكمْ نفْساً وتعتاضُ منْ ذكراكُمْ وحشتى أُنْسَا[1]

فهناك ظاهرة فى شعر العماد وهى الاستهلال بالمدح فى مجال الغزل أى أنه يبدأ القصيدة بالمدح وفى ثناياها أبياتاً غزلية يتغزل بالممدوح

كما تظهر ظاهرة أخرى وهى الاستهلال بالغزل فى مجال الغزل ، كقوله:

كتبَ العذارُ على الخدودِ سُطوراً مَنْ يتْلُها يكُ فى الهوَى معذورا[2]

وقوله :

شادنٌ كالقضيبِ لدْنُ المهزَّه سَلبتْ مُقْلتاهُ قلبى بغُمزَهْ [3]

يبدأ العماد قصائده بالمدح الخالص بالغزل ؛ وذلك بغرض أو بقصد الأول : طلب العطاء من الممدوح ، وكسب ود الممدوحين وكرمهم ، والثانى : دفع هؤلاء الممدوحين إلى الجهاد من أجل تحرير الوطن .

يوجد فى شعر العماد ظاهرة أخرى وهى الاستهلال بالغزل فى مجال المديح ، ويعد الاستهلال بالغزل فى مفتتح القصائد استهلالاً بارعاً إذا جاء مصطبغاً بالجو النفسى المهيمن على القصيدة فى موضوعها الأصلى .

وفى ذلك يقول د / أحمد بدوى :

" ولنا أن نعد من براعة الاستهلال هذا الغزل الذى يقع فى مفتتح القصائد إذا كان الجو المخيم عليه هو الجو نفسه المخيم على القصيدة الأصلية ، والواقع أن الشاعر الذى يسيطر عليه غرض خاص ، يخيم عليه جو يناسب هذا الغرض ،

---

(1) الديوان ص230
(2) الديوان ص161
(3) الديوان ص223

وحينئذ يكون الغزل الذى فى مفتتح القصيدة مسيطراً على هذا الجو ، فيكون الغزل فرحاً إن كانت القصيدة فرحة ، وحزيناً إن كانت حزينة ، ومفتخراً إن كانت فخراً ، ومعاتباً إن كانت عتاباً....."[1] .

يقول العماد فى مدح الخليفة المستضىء بالله :

أصحُّ عيونِ الغانياتِ مريضُها وافتكُ أالحاظِ الحسانِ غضيضُها [2]

فهو فى هذه القصيدة يستهل بغزل الممدوح ، ثم بعد ذلك يأتى بوصفه ومدحه فى نهاية القصيدة .

وقوله أيضاً :

يروقُنى فى المها مُهَفْهَفُها ومِنْ قُدودِ الحِسانِ أهيفُها [3]

فى هذه القصيدة يبدأ بغزل الممدوح ، وفى ثناياها مدح ، ثم يصفه بالسماحة بأنه حاتم الطائى ، وفى الوقار بأنه الأحنف بن قيس ، ويصف أيضاً الكتيبة ويحثه على القتال وهزيمة الفرنج فى نهاية القصيدة .

وقوله أيضاً فى مدح الخليفة المقتفى لأمر الله :

كُنْ عاذرى فى حُبِّهِمْ ، لا عاذِلى يافارغاً مِنْ شُغلِ قلبى الشّاغِلِ [4]

---

(1)) أسس النقد الأدبى عند العرب ، د / أحمد أحمد بدوى ، مكتبة نهضة مصر ، 1964 م ص310

(2) الديوان ص269 ، الغضيض : الطرف الفاتر .

(3) الديوان ص306

(4) الديوان ص345

obeikan.com

يفسر البلاغيون " ضرورة العناية بجودة الاستهلال ، بأن الانطباع الأولى للنفس يكون أقوى وأكثر فعالية من غيره ، من ثم سيسحب آثاره على ما يليه "[1].

(4) **حسن التخلص** :

عرفه البلاغيون " بأنه الانتقال مما ابتدئ به الكلام من تشبيب أو ذكر للديار أو وصف للخمر ونحو ذلك الى الغرض المقصود منه الكلام مع رعاية الملاءمة بين المبتدئ به وما انتقل اليه . لأن المخاطب يكون مترقباً ومنتظراً لهذا الانتقال ، فإذا جاء حسناً قد روعى منه التلاؤم ، حرك من نشاطه وكان أدعى للإصغاء والمتابعة ، و إن جاء بخلاف ذلك أدى الى النفور والإعراض "[2].

ومن التخلصات الحسنة لدى العماد ، هذه القصيدة التى تتكون من خمسة وثمانين بيتاً فى مقدمتها يتغزل بالحبيب الذى ملأ عليه قلبه ، ثم ينتقل الى مدحه، ليصف شجاعته عند النزال ، وصبره فى مقارعة الفرسان"[3] .

كيفَ قُلتم فى مقلتيهِ فتورُ ... وأراها بلا فتورٍ تجورُ

لو بصُرتُمْ بلحظهِ كيفَ يسْبى ... قلتُمْ : ذاكَ كاسرٌ لا كسيرُ

مُوترٌ قوْسَ حاجبيهِ لإصما ... ءِ فؤادى كأنّهُ موْتُورُ

لا تسَلْنى عن اللِّحاظِ ، فعقلى ... طافحٌ من عُقارهنَّ عقيرُ

ويقول فى مدح ممدوحه[4]:

ولكُمْ عودةٌ إلى مصرَ بالنَّصـ ... ـرِ على ذكْرِها تمرُّ العُصورُ

فاستردوا حقَّ الإمامةِ ممن ... خانَ فيهما فإنهُ مستعيرُ

وافترعها بكراً لها فى مَدى الدَّهـ ... ـر رواح فى مدحكم وبكورُ

---

(1) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية د / مجيد عبد الحميد ناجى ، ص 91.
(2) انظر : علم البديع ص 259 ، والإيضاح ، ص596 ، وجواهر البلاغة ص 420
(3) الديوان ص177
(4) الديوان ص183

أنـا سـيرتُ طالـعُ العـزْمِ مـنى وإلى قصـدِكَ انتهـى التسيـرُ
وأرى خـاطرى لمـدحكَ إلفـاً إنمـا يألـفُ الخطـيرَ الخطيـرُ
بعقـودٍ مـن دُرِّ نظمـى فـى الـ ـمدحِ تَحْلى بهـا العُلـى لا النُّحـورُ

ومن التخلصات أيضاً ، حيث أطال فى التغزل بممدوحه ، وتحدث عن الوصل والهجران ، والعتب الشديد لحبيبته التى لامته : [1]

كُـنْ عـاذرى فـى حُـبِّهِمْ ، لا عـاذلى يـا فارغـاً مـنْ شُـغلِ قلبـى الشَّاغـلِ
هَـبْ أنَّ سمعـى للنصـيحةِ قابـلٌ مـا نـافعى ، والقلـبُ لـيسَ بقابـلِ؟
أخفيـتُ سـرَّ الوجْـدِ خيفـةَ عُـذَّلى فتعرَّفـوا مـنْ أدمُعـى ومخايـلى
لم يقبلُـوا عـذرَ المحـبِّ وقابلـوا حـقَّ الهـوى مـنْ لُـؤمِهِمْ بالباطـلِ

ويعلل ذلك بقسوة قلبه[2] :

يـا قلبـهُ القاسـى ! تعلّـمْ عطفـةً وتمـايلاً مـنْ عطْفـهِ المتمايـلِ
سـقياً لوصـلِ الغانـياتِ وشـربنا كـأسَ الرُّضـابِ على غنـاءِ خلاخِـلِ
بنـواظرٍ قـدْ خلـتهُنَّ غوَافِـلاً لفتـورهنَّ وهُـنَّ غيـرُ غوافـلِ

ثم ينتقل إلى مدحه[3] :

فـى مـأزقٍ لا يسـمعُ الـواغِى بـهِ الاّ أنـينَ صـوارمٍ وصواهـلِ
والجـيشُ مَـنْ ملـكَ الجيـوشَ برأْيـهِ فـى صـائبٍ وبجأشـهِ فـى صائـلِ
هـزمَ العِـدَّا ، قبـلَ اللِّقـاءِ ، برعـبهِ فغـدوا بـأمٍ فـى الشَّـقاوةِ هابـلِ
طلبـوا الفـرارَ ولم يـزلْ متكفِّـلاً بهزيمـةِ الرِّعديـدِ بـأسُ الباسـلِ

(1) الديوان ص345 ، 346.
(2) الديوان ص346.
(3) الديوان ص348-349

ثم وصف الحبيب أوا لممدوح[1] :

فـى كفِّـهِ للجـودِ خمسـةُ أبحـرٍ فياضـةً ، تُسْـمى بخمـسِ أنامـلِ

فـى كفِّـهِ للجـودِ خمسـةُ أبحـرٍ فياضـةً ، تُسْـمى بخمـسِ أنامـلِ

ممـدودُ ظـلِّ العـدلِ لـيسَ بزائـلٍ معمـودُ رُكـنِ الملـكِ لـيسَ بمائـلِ

ومن تخلصاته الحسنة قوله فى مدح ناصر الدين محمد بن شيركوه[2] :

ولقـد ألفـتُ نِفارَهـا وهوَيْتُهـا إذْ لـيسَ ينكـرُ للظِّبـاءِ نِفَـارُ

يـا جـارةً للقلـبِ جـائرةً : دعـى ظُلمـى ، وإلاّ قلـتُ :جـارَ الجـارُ

قلبـى كطرفـى مـا يفيـقُ إفاقـةً سـكران ، مـا دارتْ عليـهِ عُقـارُ

لم يخشَ من خطرِ الهوى حتى حمى ذاكَ القـوامِ شـبيهه الخطـارُ

فقد بدأ العماد قصيدته بمدح ناصر الدين ثم تخلص من المقدمة الغزلية إلى المدح وذلك فى قوله[3]:

مِـنْ آلِ شـاذى الشـائدينَ بنـا العُلـى أركانُهـنَّ لهـا ذمٌ وشفـارُ

وثم من المقدمة الغزلية إلى الوصف ، حيث يصف الجيش والكتيبة[4]:

وكتيبـةٍ مثـلَ الرّيـاضِ كأنمـا رايـاتُهـا منشـورةٌ أزهـارُ

وكأنمـا حُضـرُ البيـارقِ للقنـا ورقٌ وهامـاتُ العُـداة ثمـارُ

وكمـائمُ الأغمـادِ عـنْ زهـرِ الظُّـبى فتقـتْ فكـلُّ صقيلـةٍ نُـوّارُ

وعلـى شـعاعِ الشّمسِ لمـعَ حديـدُها يبـدو كمـا يعلـو اللُّجيـنُ نُضـارُ

---

(1) الديوان ص 348
(2) الديوان ص 163
(3) الديوان ص163
(4) الديوان ص 164.

وقد يخرج الشاعر إلى المديح بذكر الأحباب والأصحاب، كما فى قوله يمدح الخليفة المستضىء باللّه أيام نور الدين محمود[1]:

وإنَّ صَفْـــوَ حيـــاتى مـــا يُكـــدِّرهُ ... إلاّ اشـتياقى إلى أحـبابى الخُلصـا

ما أطيبَ العيشَ بالأحبابِ لو وصلوا ... وأسعدَ القلبَ مِنْ بلواه لو خلصا!

زمُّـوا فـؤادى وصـبرى والكـرى معهـم ... غـداةَ بـانوا وزمُّـوا للنَّـوى القلصـا

ومقلـــةٌ طالمـــا قـــرَّتْ برؤيتهـــم ... أضحى السُّهادُ لها من بعدِهم رمصا

لم تحـــدر الدَّمـــعَ إلاّ أنهـــا رفعـــتْ ... إلى الأحبةِ من كربِ الهوى قصصا

وقد يتوصل المدح بعد اللهفة على زمن الشباب وأيام الصبا، فيستجار منه الممدوح، وذلك فى قوله مادحاً الخليفة المستضئ باللّه[2] :

لهفـى علـى زمـنِ الشَّبـابِ! فـإننى ... بسـوى التأسُّـفِ عنـه لم أتعـوضِ

نُقضـتْ عهـودُ الغانـياتِ، وإنهـا ... لـولا انقضـاءُ شـبيبتى لم تنقـضِ

كـانَ الصِّبا أضـفى الثيـابَ، وإنما ... ذهبـتْ نضـارةُ عيشـتى لـما نُضـى

يـا حسـنَ أيـامِ الصِّـبا، وكأنهـا ... أيـامُ مولانـا الإمـامِ المستضـى!

ذو البهجـةِ الزهـراءِ، يشـرقُ نورُهـا ... والطلعـةِ الغّـراءِ، والوجـهِ الوَضـى

قسَـمَ السَـعادةَ والشّـقاوةَ ربُّنـا ... فـى الخلـقِ، بـينَ محبِّـهِ والمبغـضِ

ونرى العماد يبدأ بالتخلص من المقدمة الغزلية إلى المدحية، والحث على روح المثابرة والشجاعة والقتال، وذلك فى قصيدة يتغزل بالمحبوب ويصفه[3] :

يروقُـنى فـى المهـا مُهفْهَفُهَـا ... ومِـنْ قُـدودِ الحسـانِ أهيفُهـا

(1) الديوان ص249، 250.
(2) الديوان ص 263.
(3) الديوان ص 306.

ومِـــنْ عيـــونِ الظِّبـــاءِ أفترُهَـــا ومِـــنْ خصـــورِ المـــلاحِ أنحفُهـــا

مـــا سَـــقمى غـــيرُ سُـــقمِ أعيُنهَـــا ثـــمّ شِّـــفائى الشِّـــفاةُ أرشُفُهـــا

ثم ينتقل بعد ذلك من الغزل إلى المدح فى نهاية القصيدة :

وحُطـــتَ دميـــاطَ إذْ أحَـــاط بهـــا مـــنْ برجـــومِ البـــلاءِ يقْذِفُـــها

لاقـــتْ غـــواةُ الفرنـــجِ خيبتَـــها فـــزادَ مـــنْ حســـرةٍ تأسُّفُـــها

فَـــرَّ فـــريرُيُّها و أزعجهـــا نـــداءُ داويِّـــها تلهفُـــها

يمطـــرُ مطرانُهـــا العـــذابَ كمـــا يُـــرْدَى بهـــدِّ السُّـــقوفِ أسقُفُـــها

تكســـرُ صلبانَـــها وتنكسُـــها لقصْـــمِ أصْلابهـــا وتقصُفُهـــا[1]

يجب على الشاعر " الترفق فى الانتقال من غرض إلى آخر ، وأن يكون بارعاً فى التخلص من غرض إلى آخر ، بحيث ينتقل السامع نقلاً لطيفاً هادئاً لا يحس معه بفجوة فى تسلسل صور النص ، أو طفرة فيه ، حتى يحافظ على انسجامه معه ، وانسياب نفسه مع حركة ذبذبات التجربة الشعرية ، ليكون أكثر استجابة " [2].

ولا شك أن التخلص الحسن كثير فى شعر العماد ، فقد كان يتطلف للخروج من معانيه كثيراً ، ويحتفى معتمداً على تعانق المعانى ، وتداخل التراكيب ، حريصاً على تحقيق الربط بين المعنى والمعنى ، ومراعاة الوصل بينهما ، والانتقال الفنى من غرض إلى غرض، لم يكن ثمة انفصال للمعنى الثانى عما قبله ، بل كان متصلاً به ممتزجاً معه .

(5) المبالغة :

فن بديعى ، من محسنات المعانى ، واسع الانتشار بين فنون الادب ولا يكاد يخلو منه نص أدبى ، وهى : " أن يُدعى لوصف بلوغه فى الشدة أو الضعف حداً

(1) الديوان ص 309، 310.
(2) د / مجيد عبد الحميد ناجى : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ص 99.

مستحيلاً أو مستبعداً ؛ لئلا يظن أنه غير متناهٍ فى الشدة أو الضعف ، وأطلق علماء البلاغة على هذا الفن مسميات عديدة منها : التبليغ والإغراق ، والغلو ، والإفراط فى الصفة " [1].

فمن مبالغات العماد قوله[2] :

يُغْضى حياءً والمهابةُ كلها ... فى أنْفُسِ الأعداءِ مِنْ إغضائهِ

ويغضُّ عيناً للوقارِ ، ونورهُ ... لتغضُّ عينُ الشّمسِ دونَ لقائهِ

وقوله فى رثاء صلاح الدين ، حيث بكاء السيوف والفرسان على فراقه[3] :

بَكَت الصّوارمُ والصّواهلُ إذْ حَلتْ ... مِنْ سَلِّها وركوبها غزواتُهُ

وقوله فى مدح جمال الإسلام[4] :

تجرَّعتُ كأسَ العَتبِ مُراً ، وإنما ... لوُدِّكَ عندى ،كانَ أحلى من الشُّهْدِ

وقوله فى مدح نور الدين محمود[5] :

أنتَ سليمانُ فى العفافِ وفى الـ ... مُلكِ ، وتحكى بزُهدكَ اليسَعا

حُزتَ البقا ، والحياءَ ، والكرمَ الـ ... محضَ ، وحُسنَ اليقينِ ، والوَرى

وقوله فى مدح الخليفة المقتفى[6] :

لو كنتَ فى زمنِ النَّبى لأُنزلتْ ... فى هذهِ السِّيرِ التى لكم سُورْ

---

(1) انظر: الإيضاح للقزوينى 2 / 514 ، الصناعتين للعسكرى ص365 ، المصباح لابن مالك ص 225
(2) الديوان ص70
(3) الديوان ص89
(4) الديوان ص142 هو القاضى العدل أبو القاسم عمر بن الحسن بن أحمد بن الباسيسى .
(5) الديوان ص285
(6) الديوان ص152

obeikan.com

وقوله فى مدح أسد الدين شيركوه[1]:

فأنتَ مِنْ زانتْ الأيامُ سيرتهُ ... وزادَ فوقَ الذى جاءتْ به السِّيرُ

لو فى زمانِ رسولِ اللّه كنتَ أتيت ... فى هذهِ السِّيرةِ المحمودةِ السُّورُ

وقوله فى نضوج المشمش[2]:

ولو كانَ لى بالسَّهمِ سَهمٌ وجدت لى ... منالى بأيامِ النِّمارِ ومرفقى

وقوله فى مدح تقى الدين عمر[3]:

ولو لبُّوا نِداءَ الحزمِ دَرَّتْ ... عليهم لِقْحمةُ النَّصرِ اللَّبونِ

(6) حُسن التقسيم :

هو أحد فنون البديع عند الشاعر، وسماه قدامة " بصحة التقسيم " حيث يقول : "وهى أن يبتدأ الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها ولا يغادر قسماً منها " [4].

ويقول عنه السكاكى : " هو أن تذكر شيئاً ذا جزءين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك " [5].

وهو موجود قديماً فى أشعار الجاهلين بصورة متفرقة ، ثم أصبح بعد ذلك منتشراً بكثرة عند الشعراء المحدثين .

---

(1) الديوان ص169
(2) الديوان ص317
(3) الديوان ص429
(4) قدامة بن جعفر : نقد الشعر ص 139 ، ت محمد عبد المنعم خفاجى ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط1 ، 1980 م
(5) انظر: المفتاح للسكاكى ص535 ط دار الكتب العلمية ، بيروت 2000م تح د/ عبد الحميد هنداوى ، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح 97/4 ط مكتبة الآداب 1947م تح د/ عبد المتعال الصعيدى ، والإيضاح " مختصر تلخيص المفتاح " ص 334 ، والبلاغة الإصطلاحية ص 332، والصناعتين ص341

فمن التقسيمات الحسنة عند شاعرنا ، قوله :

سرجُ الهدى، سحبُ النّدى، شهبُ النُّهى أُسْدُ الحروبِ ، ضراغمُ الهيجاءِ[1]

وقوله مادحاً :

مخوفُ السُّطا صعبُ الاّ باحسن الثّنا مرجى النّدى سهلُ الرِّضا طيبُ النّثا[2]

وقوله مادحاً :

أعزَّ الدينِ غيثُ الجودِ ، غوثُ الـ ورى ، طودُ العُلى ، شمسُ النهارِ

حليفُ المجدِ ، ربُّ الفخرِ ، تربُ الـ سماحِ أخو الحجا ، زاكى النِّجارِ

غزيرُ المجتدى ، غمرُ الأيادى منيرُ المجتلى ، عالى المنارِ[3]

وحسن التقسيم قد يحدث جرساً موسيقياً ، يؤثر فى النفس ، وفى أذن المتلقى ، وذلك فى قوله مادحاً صلاح الدين :

سجيّتهُ الحُسنى ، وشيمتهُ الرِّضا وبطشتهُ الكبرى وعزمتهُ القعْسَا [4]

وقوله فى نور الدين محمود :

حزتَ البقا ، والحياءَ ، والكرمَ الـ محضَ، وحسنَ اليقينِ، والورَعا [5]

وقوله أيضاً :

طلعةٌ طلقةٌ ، وباعٌ طويلٌ ويدٌ بسْطةٌ ، وثغرٌ باسمْ

---

(1) الديوان ص62
(2) الديوان ص100
(3) الديوان ص195
(4) الديوان ص231
(5) الديوان ص285

obeikan.com

وعطـــايا غُـــزرٌ، وغُـــرٌ أيـــادٍ وســجايا رُهْـرٌ، وبـيضُ عـزائمْ [1]

والتقسيم الحسن قد يؤدى إلى ذكر وتعدد الصفات فى شخصية الممدوح ، وذلك فى قوله مادحاً القاضى الفاضل :

غيـــثُ غيـــاثٍ ، وجـــودُ جـــودٍ ويحـــرٌ علـــمٍ ، وطـــوْدُ حلْـــم

ذو أنـــفٍ ، أنـــفُ كـــلِّ خطـــبٍ يقتـــادُ مـــن بأســـهِ بخطْـــم

زكـــاءُ نجـــرٍ ، ورحـــبُ صـــدرٍ وطـــولُ بـــاعٍ ، وطيـــبُ جـــدْم

ومـــزنُ مَـــنٍ ، ووجـــهُ منْـــحٍ غـــيرُ جهـــامٍ ، وغـــيرٌ جهْـــمِ [2]

وقوله مادحاً الملك المظفر تقى الدين عمر :

رحيبُ الصَّدرِ طلقُ الوجهِ ثبتُ الـ جنـــانِ نـــدىّ المحيـــا واليمـــينِ

غزيـــرُ الفضـــلِ جـــمُّ الجـــودِ ملـــكٌ عـــديمُ المثـــلِ ، مفقـــودُ القـــرينِ [3]

وقد يتعانق التقسيم مع التشبيه ، كما فى قوله :

كالبـــدرِ نـــوراً ، والهزبْـــرِ ســـطاً يـــومَ الهيـــاجِ ، وليلـــةَ التـــمِّ [4]

ومن تقسيماته الغزلية ، كما فى قوله :

شِـــبهُ رئـــمٍ ، غُصْـــنُ بـــانٍ بـــدرُ دجـــنٍ ، شمـــسُ ضـــحْوَه

فيـــــه تيـــــهٌ ودلالٌ ولـــــه ليـــــنٌ وقسْـــــوَه [5]

وهكذا أجاد شاعرنا فى استعمال التقسيمات الحسنة فى مختلف أغراضه الشعرية ؛ ليعطى لنا دفئاً شاعريًا ، وجرسًا موسيقيًا ، وألفاظاً رنانة ، تؤثر فى النفس ، وتؤثر أيضًا فى ذهن المتلقى .

---

(1) الديوان ص368
(2) الديوان ص 388
(3) الديوان ص388
(4) الديوان ص426
(5) الديوان ص438